

تمثيلات مرض اعتلال الذاكرة / الزهايمر في رواية السيرة الذاتية رواية (حين تترنح ذاكرة أمي) للروائي المغربي (الطاهر بنجلون) أنموذجاً

سمية سليمان علي الشوابكة *

ملخص

يشغل هذا البحث على رواية السيرة الذاتية التي تستعير تقنيات الكتابة الروائية لتصوير المعطى السير ذاتي الذي هو عصب السرد، وفنّها المُتخيل المصنوع، والمستثمر لخلق عالم روائي واسع الآفاق، متعدد الرؤى، مختلف الصنعة، متشابك الأبعاد. وينشغل في الآن ذاته بتمثيلات مرض اعتلال الذاكرة واحتضارها المعروف باسم الزهايمر نفسياً واجتماعياً وأدبياً وفنياً في رواية (حين تترنح ذاكرة أمي) للروائي المغربي (الطاهر بنجلون) التي تحكي تيه ذاكرة أمه المصابة بداء الزهايمر الذي يأكل ذاكرتها حد الموت. ويحاول هذا البحث الكشف عن مدى قدرة (بنجلون) على التعبير في محكيه الروائي عن المرض نفسياً واجتماعياً وإنسانياً وسردياً وإبداعياً فنياً من جهة، وتحويل الذاكرة المشوشة المختلطة المختلفة حضوراً، المُلتبسة وهماً، المُترنحة زماناً ومكاناً وأحداثاً إلى فن له سمته الخاص وميّمه المميز من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: تمثيلات، الزهايمر، رواية السيرة الذاتية، حين تترنح ذاكرة أمي، بنجلون.

• تمهيد: الرواية العربية وإشكالية التصنيف.

تشكّل الرواية العربية عالماً أدبياً معقداً معني ومبنى بما يتوافر عليه من إمكانات تعبيرية تخيلية لا يمكن إنكارها أو التقليل من أهميتها بوصفها الأفق المفتوح الذي تنصهر في بوتقته - بتناغم - المكونات السردية جميعاً؛ إذ غدت - أي الرواية - صوت الإنسان المائز، القادر على كشف البواطن، ونبش السطوح، وتعرية المضطرب بفعالية ووعي كونها الأكثر تعبيراً عن "انسطار الذات والآخر، وأوجاع الناس ومتغيرات حياتهم، وما يحيط بهم من قوى مؤثرة تتحرك في كل جانب يعيشون فيه" (الجنابي، 2012، ص219).

ولقد اتسع مفهوم الرواية ليشمل كافة أشكال السرد وألوانه، ولم تعد معايير الكتابة الأدبية ثابتة قارة عند حدود بعينها، بل تخطتها إلى حدّ "الوقوف من بعض الأشكال الأدبية موقفاً رافضاً لجنس هذا اللون أو ذلك" (عليان، 2012، ص24). وتظل إشكالية قواعد التصنيف أو التّجنيص الصارمة واحدة من أهم قضايا الفن الإبداعيّ الكتابي الجديد المُختلف فيها ولا سيما السردية منه على نحو خاص؛ "فهذا التصنيف يستند إلى إشكالية أكبر وهي عزز النقد العربيّ حتى الآن عن إبداع نظرية أجناسية عربية تقف عند مسائل تشكّل الجنس الأدبيّ وعوامل ظهوره وتطوره، وما ينفرع عنه من أنواع، الأمر الذي أفضى إلى الاختلاف في تعريف الجنس الأدبي وقراءته في سياق ظروف حضارية منبئة الصلة عن ظروف المجتمعات العربية" (أبو سيف، 2008، ص11-12).

ولعلّ في اختلاف المصادر التي يُنقل عنها تارة، واختلاف مناهج الترجمة تارة أخرى، والقراءات الناقصة وتباين مرجعيات الدراسة الإبداعية، وانتقاء معايير التمييز الواضح بين حديّ الجنس والنوع وخصوصية كلّ منهما، ما يؤكد مدى ما اعتور إشكاليات هذا التصنيف من اضطراب في "اجترار نظم صوغ سردية جديدة ومبتكرة وهجينة، ذهبت بجرأة بالغة إلى كلّ الفنون الأدبية الجمالية؛ لتستعير وتأخذ وتنهل منها ما وسعها ذلك، من أجل كتابة سردية أخرى تخرق المألوف، وتنتهك السائد، وتبتدع أنواعاً ونماذج تشكيلية مختلفة ومتنوعة تدرج أخيراً في فضاء جنس السرد" (عبيد، 2011، ص159).

• إشكالية التصنيف التركيبي: (الرواية السيرة ذاتية بين الواقعي والتخييلي)

إنّ لكل نص حكاية قوانينه وحدوده إلّا أنّ التقاط نوعين أو جنسين أدبيين متجاورين في عمل واحد يتقاربان في شكلهما تارة، ويشكلان على المتلقي تارة أخرى يحتم علينا التمييز بينهما في السرد والتخييل؛ تلاقياً لتداخل الأنواع القريبة منهما التي تنتمي

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث: 2019/5/18، وتاريخ قبوله: 2019/9/29.

إلى ذات العائلة الأجنبية الواحدة، أو " تتناحم حدودها مع السيرة الذاتية كالمذكرات والسيرة والرواية الشخصية، وقصيدة السيرة الذاتية، واليوميات الخاصة، والرسم الذاتي، والمقالة" (لوجون، 1994، ص23).

وما الرواية السير ذاتية إلا "كتابة سردية مهجنة بين نوعين سرديين معروفين هما : السيرة والرواية، ولا يُقصد بالتّهجين معنى سلبياً، إنما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة، وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة" (إبراهيم، 2007، ص411).

وإذا كانت كتابة السيرة الذاتية هي "فن الذاكرة الأول؛ لأنها الفن الذي تجتلي فيه الأنا حياتها صراحة وعلى نحو مباشر مسترجعة هذه الحياة في امتدادها الدال، أو في وقت بعينه من الأوقات، ولهذا الامتداد مغزاه الخاص، وذلك من منظور لحظة حاسمة من لحظات التحول الحدي من عمر هذه الأنا" (عصفور، 2000، ص195)، فإن المحك الحاسم لرواية السيرة الذاتية التي تتطوي على حياة كاتبها بعضها أو كلها "ليس هو مدلول هذا الدال الجزئي، أو ذاك في الواقع الفعلي لحياة الكاتب، وإنما إشارة شبكة العلاقات الكلية للدلالة المركبة إلى ذات الكاتب التي تنقسم على نفسها كي تصبح موضوع إبداعها" (عصفور، 2000، ص232).

وتعدّ استعارة الشكل الروائي - بذلك - قناعاً فنياً لإعادة صوغ المحكي الاستذكارى الذاتي، وتشكيل المعطى الشخصى "من الفنون المتقدمة التي تستعين السيرة الذاتية بها لكتابتها، وذلك بفضل وجود عنصر الإبداع والخيال الفني" (عثامنة، 2010، ص4). ورغم التباس العلاقة بين السيرة الذاتية والرواية وتداخل جنسيهما إلا أنه "كثيراً ما تُقضي التفاعلات بينهما إلى نصوص إبداعية مثيرة تثير اهتمام القراء والنقاد داخل سياقات التداول المحلي والعالمي" (الزهراني، 2004، ص94).

إن إعادة إنتاج الذات سيرياً وروائياً وفنياً تقتضي التخيل الذي يفارق الواقع تارة، ويندغم فيه أخرى؛ فالاستنكار والاسترجاع المستعاد فن مرهون بدرجة الوعي المقصود الذي لا يطابق الحقيقي كثيراً بقدر ما يتماهى مع المتخيل الملتقط بفنية تخيلية لا بموضوعية حقيقية أو تاريخية، فما أن يصبح محكي ذوات حياتنا مادة للسرد أو موضوعاً حتى يعاد تشكيلها من جديد وفقاً لمعايير التشكيل الفني بكل ما تقتضيه من تحوير أو تعديل أو زيادة أو حذف؛ " وعليه لا يمكن الحديث أبداً عن مطابقة حرفية ومباشرة بين الوقائع التاريخية المتصلة بسيرة المؤلف الذاتية، والوقائع الفنية المتصلة بسيرة الشخصية الرئيسية في النص، هناك تدخلات كثيرة، فالوسيط وهو السرد في هذه الحالة بعيد ترتيب العلاقة بما يوافق العالم الفني الجديد" (إبراهيم، 2007، ص412).

وتعي الرواية السير ذاتية أو السيرة الذاتية الروائية التي تستعير الكثير من مستلزمات الرواية وتقنياتها الفنية، وتؤسس محكيها - المستثمر لتجربتها الذاتية - على مكونات السردية الفنية حق كل نوع في التعبير عن ذاته المرنة في أثناء تقاطعه مع الآخر، أو انفلاته من إسار جنسه الواحد وتداخله مع أجناس سردية متوازنة، بعيداً عن فكرة الحد الجامع المانع، والمدار المغلق المطلق، والاعتصام بحرفية ما اقترحه (فيليب لوجون) وأسماء بميثاق السيرة الذاتية، المتعلق بالتطابق بين المؤلف والسارد والشخصية (لوجون، 1994، ص24)؛ ذلك أن "الصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذاتية صدق نسبي مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها" (عباس، 1965، ص113)؛ "وفي كل أثر أدبي سردي شمة درجة من حضور العنصر الذاتي سواء تم الأمر على مستوى الرؤية والمنظور، أو على مستوى الصيغة والأسلوب، أو تم على مستوى مكونات المتن السردى" (إبراهيم، 2007، ص415).

• رواية (حين تترنح ذاكرة أمي) سيرة روائية:

تتحو رواية (حين تترنح ذاكرة أمي) للروائي المغربي (الطاهر بنجلون) ⁽¹⁾ (انظر: فرهود، 1998، ص 719، والفصل،

⁽¹⁾ الطاهر بنجلون: روائي مغربي فرانكفوني، ولد في فاس سنة 1944، وانتقل إلى طنجة مع أسرته عام 1955، إذ التحق بمدرسة فرنسية، ثم درس الفلسفة في الرباط، واشتغل سنة 1968 بالتدريس في تطوان ثم في الدار البيضاء، وغادر بعدها المغرب صوب فرنسا حيث حصل على دكتوراه في علم النفس، بدأت مسيرته في الكتابة بعد مدة وجيزة من وصوله إلى باريس حيث عمل محرراً ثقافياً في جريدة لوموند. وتوزع إنتاجه الإبداعي بين الرواية والمسرحية والشعر والترجمة. ومن أشهر أعماله الروائية: (حروقة) 1982، (محا المغتوه، محا الحكيم) 1982، (ليلة القدر) 1987، (طفل الرمال) 1992، (يوم صامت في طنجة) 1993، (صلاة الغائب) 1997، الكاتب العمومي 1998، (الزجل المحطم) 1998، (ليلة الغلطة) 1998، (أعقاب مركز الغدا) 2000، (نزل المساكين) 2000، و (تلك العتمة الباهرة) 2002، كتبت رواياته باللغة الفرنسية ثم تُرجمت إلى معظم اللغات الحية، حصل على جائزة غونكور الفرنسية الأدبية عن رواية (ليلة القدر)، وفازت النسخة الإنجليزية من رواية (تلك العتمة الباهرة) بجائزة دبلن للأدب "إمباك" 2004. للمزيد عن الروائي انظر: (فرهود، 1998، ص 719، والفصل، 1995، ص223، الشوابكة، 2015، ص780 و789) وويكيبيديا الموسوعة الحرة

1995، ص 223، الشوابكة، 2015، ص 780 و 789، ar.wikipedia.org) منحى السيرة الذاتية المشحونة بالتخييل الذي هو "جوهر العمل الروائي وأساسه الذي لا غنى عنه" (خليل، 2012، ص 57)، المستأنسة باستثمار تقنياته في تصيير الألم أفقاً روائياً، وسبر أغوار المعاناة فنياً؛ إذ يمكن تمييز حديّ التخييليّ والحقيقيّ الملتبسَيْن معاً في هذه الرواية بكثير من الدقة والرفاهة والمعاناة في الوقت نفسه من خلال شكلها الذي يتضافر فيه العام مع الخاص، فيغدو "المُتخيل الروائي - في هذه الحالة - قناعاً أكثر صدقاً في تقديم السيرة الذاتية" (الباردي، 1997، ص 78) وتبدو "القراءة خارج النصّية مُسغفة في التّعرف إلى تفاصيل حياة الكاتب، ومقارنتها بما هو مائل في العمل نفسه، وبالقدر ذاته تعين القراءة الداخلية، والتقاط عناصر من مثل: الزّمان والمكان والشخصيات الحقيقيّة والمفترضة على ترجيح أحد النوعين" (أبو سيف، 2008، ص 255).

وتحتفي رواية (بنجلون) السيريّة بالمرض وتعيد تأويله، وتشكيل صورته تدريجياً، وصوغه روائياً في نسق مغاير "يشير إلى تغلب هذا المكون الذاتي، وهيمنته على غيره من عناصر الخبرة، وتجربة الحياة واللغة والإبداع" (فضل، 2014، ص 182)، فتغدو تجربة اعتلال ذاكرة أمّه بكلّ ما في تنوعاتها ومكوناتها وارتباطاتها وأمّشاج علاقاتها عالماً روائياً متخيلاً، ممتد الصّلات، متجاوز الحدود، متشابك العناصر، متشعب العلاقات، ينزّ أسى، ويقطر ألماً في ذاكرة الراوي وأمّه بما يتنازعهما من أحداث ورؤى مستعادة تشكل حياتهما وحيوات الآخرين بوصفها عملاً سردياً "يستند في مدونته الروائيّة على السيرة الذاتية للروائي، حيث تعتمد الحادثة الروائيّة في سياقها الحكائي اعتماداً شبه كلي واقعة سير ذاتيّة واقعيّة تكتسب صفتها الروائيّة أجناساً بدخولها في فضاء المُتخيل السرديّ على النحو الذي يدفع كاتبها إلى وضع كلمة "رواية" على غلاف الكتاب في إشارة أجناسيّة ملزمة للقارئ وموجّهة لسياسته القرائيّة النوعيّة" (عبيد، 2005، ص 139).

ويشكل مرض اعتلال الذاكرة المعروف طبياً باسم (الزهايمر) نواة العمل الروائي السيري (حين تترنح ذاكرة أمي) المركزيّة، وثيمته الرئيسيّة، فيهتم الروائي (بنجلون) - صاحب العمل - بتجسيد المرض وتقديم صورته وأشكال تطورات حضوره على امتداد مراحلته المختلفة، وسبر حمولاته الدلاليّة، وتمثيالاته الجسديّة والاجتماعيّة، وآثار تداعياته النفسيّة والإنسانيّة المرتبطة بحياته وحيوات الآخرين لما تنطوي عليه هذه التجربة المرضيّة الأليمة من "خبرة إنسانيّة ترتبط بجملّة من التّصورات والمجازات والأفكار التي تنفتح بدورها على محدّدات وأنساق ثقافيّة وشعبيّة أسهمت إلى حدّ كبير في صياغة مفهوم المرض، وتأويله بغية اكتشاف معناه الإنساني الحميم" (القرعان، 2012، ص 1).

ولعلّ محاولة فهم ماهية الألم، واستبطان عوالم المرض، والتقاط تفاصيله الحسيّة والمعنويّة المؤثرة معاً، والتّشوّف إلى أعماقه القيمة الإنسانيّة الحقيقيّة روائياً ما "يحمل وظائف وسمات، ويولد معجماً، وينشئ بلاغة تنهلّ من الإمكانات الماتعة للتخييل الروائي" (ماجدولين، 2009، www.nizwa.com) التي تحيل الألم إلى مرتكز تخيليّ قادر على اختراق اللحظة الغارقة التي تتحول فيها الحياة إلى مخاطرة تضيق فيها المسافة بين الوجود والعدم حدّ التلاشي والاضمحلال.

واستناداً إلى ذلك لا يمكن أن يُدرك موضوع الصحة والمرض باستقلال تام عن تجربة الذات التي تؤولها، وتمنحها معنى، لذلك فقد وجد "الطب نفسه أمام مشاكل ذات أبعاد نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة متشابكة غير قادر على الإجابة عنها بالاعتماد الكلي والأحادي على المقاربة التقنيّة والبيوتجربيّة الخالصة" (العدوني، 2010، ص 102).

وإنّ رحلة مرض احتضار ذاكرة أم الروائي (بنجلون) وأفولها تبعاً، وتبخر ذكريات عمرها، ونيتها في دوامة الزمن، واشتداد مناخات الخوف التي أحاطت بواقعها وأرقت حاضرها، وتشظي تفاصيل حياتها الماضويّة طرحت داء الزهايمر الذي يشلّ الذاكرة، ويعطل حواسها تحت نوبات الإفاقة والغياب وفق مقاربة نفسيّة اجتماعيّة إنسانيّة أدبيّة فنيّة بدعيّة نهضت بالألم بوصفه "تطريزاً لجذلية المعاناة الطارئة والممتدة، تلك التي تتحول تدريجياً من عطب عضويّ إلى حكمة ورؤية جماليّين ترتقي بالخيبيات من المشترك المنذور بالنسيان إلى علّة موقظة لفتنة التمثيل والاستبطان؛ ففي استعادة الزّمن إقرار بالخسارة، وهروب المستقبل إلى الماضي" (مجدولين، 2015، ص 19).

• الزهايمر: مرض فقدان الذاكرة طبياً

يعدّ الزهايمر أكثر أشكال الخرف شيوعاً، وما الخرف إلّا "فقدان وخيم للقدرات الفكرية والاجتماعيّة لدرجة تعيق الوظائف اليومية" (تيرسن، 2003، ص 3)؛ ذلك أنّ الزهايمر "مرض في المخ يسبب مشاكل في الذاكرة والتفكير والسلوك، تتطور أعراضه

غالباً ببطء، وتزداد سوءاً مع مرور الوقت لتصبح شديدة بما يفي لعجز المريض عن القيام بمهامه اليومية" (اليوسف، 2010، ص62).

والواقع أن شرح مرض الزهايمر ليس بالأمر الهين اليسير؛ فأسبابه - مثلاً - غير معروفة بعد، وكيفيات وقفه أو تأخير تفاقمه في الدماغ ما زالت قيد البحث والتجربة، وتأثيراته الجمة هي الأكثر وخامة مع مرور الوقت؛ ذلك لأنّ الاضطراب العقلي الشديد /الخرف لا يعتبر - هو نفسه - مرضاً، ولكنه مجموعة من الأعراض التي تميز بعض الأمراض، ففي حالة الزهايمر فإنّ هذه الأعراض تتضمن هبوط مستوى أداء التصرفات اليومية في الحياة بدرجة شديدة" (شبانة، 1999، ص11).

وعادة ما تتدرج أعراض فقد الذاكرة المتمثلة في "تدهور مستوى الذاكرة للأحداث القريبة والبعيدة، وعدم القدرة على التعرف على الأهل، وصعوبة الكلام، وتكرار ألفاظ ليس لها معنى، أو ترديد كلمات ليس لها دلالة في ذهنه" (علي، 2014، ص38).

وتختلف هذه الأعراض من شخص إلى آخر وفقاً لذاته وحالته الجسدية، وأسلوب حياته، وتتطور من مرحلة أولى إلى ثانية إلى تالية متأخرة شديدة، وتتفاقم على مدار السنوات من العادي المتوقع إلى المعتدل المتوسط إلى التام، ومن فقدان الجزئي إلى الكلي وما يرافقه من تبدل في المزاج، وتغير في السلوك، والتباس في الأزمنة والأمكنة والشخصيات والأحداث إلى حدّ الفقد التام للقدرة على الكلام والبلع والمشي، وهذا ما يعكس لنا خطورة هذا المرض الذي يأكل ذاكرة الإنسان شيئاً فشيئاً حدّ الاهتراء والنزف والنتية والاحتضار فالموت.

وما الذاكرة إلا مزية الإنسان وجوهه وجوده المتمثل في قدرته على: التمثيل الانتقائي للمعلومات، والاحتفاظ بها بصورة منظمة، وإعادة إنتاجها لاحقاً في ظروف وشروط محددة" (خوري، 2006، ص29) بالتذكر والاستدعاء الذي هو أرقى مستويات النشاط الذهني وأكثرها "تعقيداً وتجريداً بوصفها النتاج العقلي المتضمن لصور وأفكار لها معان ودلالات" (الزرد، 2003، ص26).

وتبدو: "العلاقة بين مكونات الذاكرة المستعادة ونوع اللحظة الحدية التي تتبع الذاكرة على الحركة أشبه بالعلاقة بين حجر المغناطيس وكلّ ما يستجيب له من مواد قابلة للتمغنط؛ فالذاكرة لا تضئ للوعي في آلية بناء السيرة الذاتية إلا وقائع الماضي وأحداثه المجانسة لعلاقات اللحظة المهيمنة على الوعي، اللحظة التي تجتذب علاقاتها كلّ ما يستجيب لها من مخزون الذاكرة التي تغدو المبدأ الإبداعي الفاعل" (عصفور، 2000، ص195).

• تمثيلات اعتلال الذاكرة واحتضارها روائياً في رواية (حين تترنح ذاكرة أمي)

يحول الروائي (بنجلون) في روايته السيرية (حين تترنح ذاكرة أمي) ذاكرة أمه (اللا فاطمة) المعتلة بمرض الفقد / الزهايمر إلى فن روائي متخيل يكاد يكون شهادة في اختبار الحب والحياة والموت معاً، بمساءلة الذات المخدولة في ذكريات ذاكرتها التي كانت مستودعاً للأحداث والمواقف ومخزناً لها، فيستثمر الواقع عبر المتخيل بكلّ ما يخلج فيه من محطات وتجارب تتعلق بذاته أو ذوات الآخرين، مستحضراً الذاكرة المنقلبة المريضة النازفة بكلّ ما فيها من متناقضات تحت قشرة الوعي الغائب، مرتقاً ما تمرّق منها، مؤثّثاً ما سقط منها، مستعيناً بالمحسوس لإبراز المعنوي دون النطق به مباشرة بما تقرضه اللحظات السردية المستعادة من استرجاع ماضوي يؤسس نفسه على المرويات والانتطابعات والتداعيات، موظفاً تجربة المرض الواقعية في كشف حجم المعاناة جسدياً ونفسياً واجتماعياً وإنسانياً؛ فالذاكرة عندما تعلن فشلها وتهافت ينهض الخيال بديلاً منتجاً، يؤثث ويرتق ما تركته الذاكرة ممزقاً (الرياحي، 2005، ص5).

ويبرهن (بنجلون) في مرويّه الروائي السيري - ببراعة واقتدار - على مدى اغتراب الشخصية/ الذات عن ذاتها وتشظيها، وتردي أحوالها وقد عطب داء الفقد الجسد الذي هو "أحد محدّدات هوية الإنسان، ولا يمكن تمييز الإنسان عنه أنطولوجياً، لذا فهو لا يستطيع الانفصال عنه مهما حاول أن يتخطاه" (لوبيروتون، 1993، ص151) ومضى إلى الروح؛ لينتزع منها ألّق حضورها الذي كان يوماً في إيقاع فجائعي ممض يتجاوز الاعتلال العضوي المباشر إلى الوجداني الموهل اللامباشر.

وهنا تكون الذاكرة نفسها نعيم المرء وجحيم حياته في آن، فهي "بمقدار ما تبدو في لحظات معينة جميلة فإنّها موجعة، خاصة وهي تحمل معها هذا الكم الكبير من الشجن على أيام كانت ثم مضت إلى الأبد، كما تجرّ معها أشياء يفترض الإنسان أنها انتهت وأنّه تجاوزها، لكن وهي تعود هكذا حاملة معها الأصوات والإشارات وروائح الأمكنة والأجساد والكلمات يُولد من جديد الحنين المجهول بالأسى، والرغبة في أن تعود الأشياء كما كانت في يوم من الأيام" (شحيد، 2011، ص168).

ويختبر (بنجلون) في روايته الألم الذي يجعل المرء عظيماً رغم سطوة حضوره، وطغيان أثره مادياً ومعنوياً؛ إذ لا يصنع إنساناً عظيماً إلا ألم عظيم، ولا سبيل لأن يعرف المرء نفسه ما لم يُعان، وإنّ الفسيولوجيا وهي تبرهن على دور الألم في تطور فعالية

الإنسان والتحكم في انفعالاته تؤكد في الوقت نفسه وجوده" (شوشار، 1992، ص7).

ويضيئ (بنجلون) في مرويهِ السيري بعض جوانب حياة أمه (اللا فاطمة)، مستعرضاً نشأتها وطفولتها وزواجها الأول من (سيدي الإدريسي) - رغم صغر سنهما - وفقاً لعادات العائلات الفاسية المحافظة الممثلة في التثبث بالأعراف والأصول والتقاليد، وموت زوجها بعد إصابته بوباء التيفوس بعد مرور أقل من سنة على زواجهما، وزواجها الثاني من (سيدي عبد الكريم) الذي أسلم الروح وهو نائم، ومن ثم زواجها الثالث من والد الروائي وترملها من بعد، ووعيتها رغم ذاكرتها المثقوبة بزيجاتها الثلاثة وحكايتها مع كل واحد منهم في زمنها الذي كان يتم فيه الزواج دون معرفة واحد للآخر أو رؤيته؛ حيث كان الزواج "لعبة يانصيب أو لعبة غمضة" (بنجلون، 2013، ص7)، وإنجابها لبنت وثلاثة أبناء تفانت في تربيتهم وتغذيتهم، وثقافتها ومعتقداتها الدينية الراسخة، وعاداتها وتقاليدها واهتماماتها البيئية، ومهاراتها في الطبخ والترتيب، وكرمها وترحابها وبشاشة وجهها من قبل.

ويحكي - من بعد - تقهقر ذاكرتها تحت وطأة مرض الزهايمر اللعين الذي تسلسل إلى مستودع ذكرياتها وسرقها شيئاً فشيئاً، وحاصرها متواطئاً مع الألم الذي يستعصى على التشخيص أحياناً حتى أتى على حياتها فأفناها؛ فيها هو يحولها إلى: "كائن صغير ذي ذاكرة مترنحة" (الرواية، ص5)، تتكفى على ذاتها مرتابة في نظرات الآخرين، "تتقهقر ذاكرتها، تتبعثر فوق الأرض المبللة، خارج الزمن تعيش منسحبة من الواقع، تنفعل لأمر قديمة تتوارد إلى ذهنها" (الرواية، ص5).

وتشي الرواية بتحويلات درجات المرض وتفاقمه رويداً رويداً إلى حد التوقف بأم الروائي (بنجلون) التي هي عصب وجوده في الحياة ومصدر أمنه وراحته في مدينة (فاس) عند عام ولادته، فلا تتجاوز تخوم طفولته من زمن بعيد، مُكثرة من الأسئلة ذاتها بلا ملل، فهاهي تسأله كل ربع ساعة: "كم طفلاً عندك؟" (الرواية، ص5)، وهاهو يجيبها الجواب نفسه - في كل مرة - مما يغيظ خادمتها (كلثوم) التي تقوم على خدمتها والاهتمام بها وبنظافتها الشخصية ومواعيد دوائها، التي "لم تعد تطبق سماع السؤال نفسه والجواب نفسه" (الرواية، ص5)، وهاهي تستدعي الموتى وتقرح بزيارتهم فنراها "تنادي أفراد عائلتها الذين ماتوا من زمن بعيد، تكلمهم... يسهرون معها وهي في فراشها" (الرواية، ص5) وتدعوهم إلى مائدة الغداء.

ويبلغ الألم مداه عندما تعتقد أمه منذ تغير غرفتها بأنها تقيم في دار غير دارها، وفي مدينة غير مدينتهم معبراً (بنجلون) عن ذلك بقوله: "تعتقد بأننا لم نعد نساكن في طنجة بزقة علي باي التي لا تنفذ بل في فاس بجي المخفية كما أننا لسنا في العام 2000 بل في نهاية 1944" (الرواية، ص7)، مؤكداً مرض فقد ذاكرتها ونزفها الألم الذي جعلها تنوّه من زمنها، وتتفلت من حاضرها فيه إلى ماضٍ سحيق فانت مغل في البعد، ف"أحلامها لا تريد أن تنطفئ، تستبد بها في لحظات صحوها، لا تفارقها، يرتج الحاضر، يرتعش، يترنح، تبتعد غير مبالية به، لقد انفصلت عنه من غير أن يعيها ذلك" (الرواية، ص7).

ويغدر الزهايمر كعادته بذاكرة ضحيته فيوهمه بالصحو تارة ويسلبه واقعه المعيش تارة أخرى، فيظل المريض به تائهاً عن نفسه، غافلاً عن زمنه ينوس بين إفاقة وإغماءة، ف (اللا فاطمة) أم الروائي (بنجلون) تستعيد صحوها فجأة "تذكر كل شيء، كأن الأمر مجرد فجوة في ذاكرتها، مجرد ضبابية غشيت ذهنها" (الرواية، ص7)، فيعي الروائي أن أمه التي لا تميز شقيقته (ثريا) وتعتقد أنها والدتها لا ابنتها، وتخلط بينه وبين أخيه عند السؤال عن أحوال أبنائه، وتتسبب أحفادها إلى أولادها الآخرين ستعود كما كانت بالنسبة إليه دائماً "جميلة وأنيقة، ذكية ورقيقة، واعية بما تعانيه ومدركة لكل ما يحدث حولها، فهي لا تفقد رشدها تماماً" (الرواية، ص12) على عكس أخيه الذي يزعم أنها "تهتر أكثر مما تضبط نفسها" (الرواية، ص12)، وتعي هي - ذاتها - في تمام صحوها ما قالته من أشياء متنافرة أو مخالفة للواقع الحاضر، مستغربة ما يقع لها، خجلة من نفسها والآخرين بقولها: "تباً لهذا الرأس الذي لم يعد يحفظ أي شيء، يخلط الأمور بعضها ببعض، وهذا شيء مخجل" (الرواية، ص17).

ويعطب المرض الجسد ويعطله فينكمش ويتضاءل ويذوي مع الأيام حد الوجع، فجسد الأم (اللا فاطمة): "لا يكف عن التكوّم، تقلص وانكمش، أصبحت شيئاً صغيراً خفيفاً لا يكاد اللحم يكسوه، دائماً يتوجع" (الرواية، ص12).

ويجلي (بنجلون) وجع أمه المتمثل في الحزن والخوف، والكآبة والملل والسأم والدوران في الفراغ، والتيه في الزمان والمكان وقد أصبحت أسيرة فراشها، العاجزة عن القيام بأبسط احتياجاتها، المؤرقة بهمّ نزف ذاكرتها المثقوبة التي لا تحتفظ بشيء، فيعبر عن تقاوم دائها وعوارضها المتمثلة بطرح الأسئلة نفسها على النحو نفسه بشكل متكرر، والأرق والخشية المفرطة، والتأملل والقلق والخوف من أي شيء مرتقب، والضجر والشعور بالسأم وعدم الارتياح لضبابية الرؤى إلى حد دفع الروائي (بنجلون) إلى السؤال حول هذا المرض: "ما اسم هذا المرض؟ الزهايمر؟ أحياناً تمرّ أمي بلحظات صحو وانسجام كاملين، لا يهمّ الاسم الذي أطلق على هذا المرض، فما فائدة تسميته" (الرواية، ص27)، ودفع أمه إلى محاولة فهم ما يجري معها في وقت صحو ذكرياتها بالقول: "لقد فقدت ذاكرتي حدثها وتوهجها، وأصبح رأسي مع تقدمي في السن صغيراً، لا يقوى على حفظ كل شيء، ما أكثر

الأشياء التي يخزنها رأسي!" (الرواية، ص5).

ويصور (بنجلون) تذبذب ذاكرة أمه وضبابيتها من خلال تداعياتها المتكررة، ووساوسها المتعلقة ببيع دارها وتقذفها بين الدور والمدن والأبناء وزوجاتهم، ودفق هلاوسها اللامنتهي، وسؤالاتها الواحدة المتكررة، وخلطها بين الأبناء والأحفاد والأزمنة والأمكنة، وتوهمها بمراقبة الآخرين لها وتريصهم بها ولا سيما خادمتها (كلثوم)، وشروذ ذهنها بعيداً، وبكائها طوال الليل على أشياء متوهمة، وتوقفها عند أقصى سنوات حياتها، وشعورها بالحنين إلى لغة طفولتها وصورها وروائحها وأصواتها: "لعلها بذلك تسعى إلى استعادة نقطة انطلاق ما" (الرواية، ص183)، و"لعل هذا الانكفاء إلى أعماق ذاكرتها النديّة يطمئنها أو يسعفها على تفادي وضعية طالما خشيتها، وضعية أن تجد نفسها فجأة بين أيدي الآخرين وعالة عليهم" (الرواية، ص182).

ومما يحز في النفس ويجرحها استدراك (اللا فاطمة) واعتذارها الدائم عن خطيئها، وانعدام حس التمييز عندها - بسبب مرضها- بأقرص الأدوية الكثيرة التي تبتلعها منذ أكثر من ثلاثين عاماً، فهي لا تقتأ عند صحوها وعودة حس التمييز إليها أحياناً من إرجاع كل شيء إلى نصابه، والتأكيد أنها غير مخبولة بقولها: "إياكم أن تعتبروني مهيوّلة! فكل هذه الأدوية التي أتجرعها منذ أكثر من ثلاثين عاماً هي التي أتلقت ذاكرتي... المؤكد هو أن ما ابتلعه كاف لإبادة فيلق بكامله! لذلك، لا تؤاخذني إن أخطأت أو إذا صعب عليّ أن أتعرف بسرعة على كل واحد منكم باسمه، إنه مفعول أصدقائي، أعدائي في الوقت نفسه! نعم، فالأدوية أنقذتني، لكنها دمرت شيئاً في" (الرواية، ص50-51)، وتضيف: "هذه الأدوية التي تصلح وتفسد في الوقت نفسه" (الرواية، ص81)، وتجزم مرة أخرى بذلك قائلة: "إنها تلك الأدوية الخبيثة التي تلعب برأسي، الأدوية تصيرني حمقاء..." (الرواية، ص226).

ويدفع الملل والشعور بالسأم والإحساس بالكآبة (اللا فاطمة) إلى استدعاء الموتى الراحلين ومسامرتهم، والتحدث إليهم، ودعوتهم بترحاب شديد إلى تناول الطعام والشراب كما تهيأت ذات صباح لاستقبال أزواجها الثلاثة الذين توهمت أنهم سيأتون بعد صلاة الظهر، ليأكلوا طاجين المروزية التي اشتهرت بطبخه والتفنن في تقديمه، لكنها لحسن الحظ تتسنى بسرعة، فتستعيد مباشرة إيقاع حياتها الطبيعي الرتيب، فتسوي ملابسها وتطالب بأدويتها متحسرة على أيامها الفائتة، ثم سرعان ما يستبد بها الخبل فجأة فيتمكن من عقلها من جديد، "فتنخرط في هذيان متدفق كأنّ بها مسأ من جن" (الرواية، ص68) مؤمنة أنّ "الأموات مثل الملائكة، يملكون ويتكلمون وراءهم آثار المسك ثم ينصرفون" (الرواية، ص111).

ويخيم شبح الموت على الرواية فنلمحه بخفاء من خلال استحضار (اللا فاطمة) له وانتظاره إلى أن نصبح أمامه وجها لوجه، علماً بأنها لا تخافه؛ لأنه الحق الذي لا بدّ منه، وإن كانت تخاف المرض ذاته الذي يغرقها في الألم والنتية، فتسأل الله ألا يفجعها في بنيتها، إذ "ترعبها فكرة أن تفقد أحد أبنائها وتبقى هي حيّة" (الرواية، ص35)، أو أن تموت في المصحة وتقضي ليلة موتها في البرادة حتى وإن كان الموت على حدّ تعبير الروائي لفقدان كل إحساس" (الرواية، ص51).

وإذا كان الموت عند الروائي ليس فقداناً للإحساس فقط، بل هو أيضاً تفكير في العدم أي في ما ليس بعدّ هنا، وما سنصير إليه حتماً ونهائياً" (الرواية، ص52)، فهو عند أمه حق أوجب الله علينا فلا ينبغي أن نخافه إطلاقاً بعكس المرض الذي ينخر ذاتها من الداخل فيعذبها ويعذب من حوالها؛ فهو الموت بعينه، "موت نذل حقير يتربص بنا، يفكك بجزء من جسدنا، يعذب، يحرمه من قدراته الطبيعية ثم ينتقل إلى جزء آخر ليعيث فيه فساداً وألماً قبل أن يهاجم الرأس في الأخير" (الرواية، ص55).

وتستشعر (اللا فاطمة) دنو أجلها رغم كثرة الهلوسة والهذيان "فخلال أكثر من شهر لم تكف عن حكاية قصة طائر الدوري الذي جاء ليلاً إلى نافذة غرفتها، وشرع في ذكر جميع أسماء الله الحسنى، تعتبر هذه الزيارة إشارة من السماء إلى أنّ ساعة رحيلها توشك أن تدق" (الرواية، ص78) فتحتاط للأمر قبل فوات الأوان، وتبخر ذكرياتها وسقوطها فيها، وعجزها عن استحضارها من بعد، وتتحرق شوقاً لدار الحق مهتمة بأشائها ومآلها، راغبة في إحصاء ما لديها وتسجيله في ورقة رغم دهشة ابنها (بنجلون) ولا سيما عندما قالت: "أشياءني هي كل ما أملك، ولا أريد أن تضيع مني، لا الآن ولا بعد موتي" (الرواية، ص107)، ولم تتوقف رغبتها في الإحصاء والتسجيل إلا عندما انفلت بولها منها دون أن تشعر، وبدأت بالهذر والهترفة غير واعية لصنيعها السابق.

ولا يملك (بنجلون) الذي يسايرها - هنا - إلا أن ينظر إلى حالها بحزن بالغ رهيب وهو يراها تهترف وتضجّع، وتغيب ببطء وتتسحب من عالم إلى آخر دون رغبة منها أو منه كلما استبد بها الألم، وفكك بها الملل الذي هو "عدوها الغاشم الذي لا يد لله فيه" (الرواية، ص86)، والذي يجعلها متقلبة الأحوال، متغيرة المزاج، متطلبة لوحدة، متبرمة شاكبة، قلقلة خائفة؛ ف"هي تارة تطلب إحضار درامة متخصصة في أظافر الرجلين وتسويتها وصيغها، وتارة أخرى تأمر كلثوم أن تحك ظهرها دون عنف أو خشونة،

مرة تريد أن تذهب إلى الحمام من غير أن تتكئ على ذراعها، ومرة أخرى تطلب بعض المال ثم ترميه في حوض المرحاض، طوراً تطالب باسترداد المجوهرات التي سرقت منها لتضعها حول عنقها لأن اليوم عيد، وطوراً آخر تريد أن تخرج وتتجول بل وتجري " (الرواية، ص90).

وتعي (اللا فاطمة) أن ما تشعر به حيال دنو أجلها ليس خرفاً أو تيهاً أو تلفاً ضرب عقلها؛ فها هي تقتات فتات ذكرياتها وأيامها، وتتسول الزمن، وتلتقط أوراق العمر الميتة، يوم هنا، وأسبوع هناك، فتشعر منذ عهد طويل أن: "الغرفة أصبحت ضيقة كأنها قبر، وهذا هو الموت بعينه" (الرواية، ص102)، فتتهياً لموتها، وتحضر لجنائزتها "كلما انتابها الإحساس بالملل" (الرواية، ص129)، وتوصي بحسن استقبال المعزين ووفادتهم دون تقصير بالقول: "إنها آخر مرة سأستقبل فيها عائلتي، فلتكن إذن بكامل الأبهة والبذخ، إياكم أن تتقشفوا في جنازتي، اصرفوا بسخاء... ينبغي أن يكون كل واحد راضياً، افعلوا كما لو كنت هنا حية، حاضرة بابتسامي وغبطني... أقولها وأكرها: لا تخجلوني وأنا في قاع قبري" (الرواية، ص77).

لقد صار الفراغ سجنها، والخوف قيدها، والهذر رفيقها، والنسيان عدوها الأساس ينخر ذاكرتها ويخونه، فتتذكر البعيد، وتتأى عن القريب وتقصيه، وتتوس بين الأحداث، وتترنح بين الوجوه، وتقلب في الشعور فتأسى على حاضرها، وتحن إلى ماضيها فتتكفى عليه وتتوقع فيه، وتملأ الدنيا ثرثرة به، وتبقى عزاءها الذي ترى فيه ما لا وجود له أصلاً، وتفرغ مكنونات قلبها في مناجاة أطياف الغائبين الذين عبروا إليها وهي في فراشها طريحة تنتظر الموت وتستعجله؛ لينسيها ألمها إذ "يدخل المرء على أشعة هذا النور، فلا يعود يتألم بل يشعر بالراحة والسكينة" (الرواية، ص118)، فتهدر به وتهذي حتى الشعور بالخدر الذي تمتلئ به حد الموت.

ويغم الروائي (بنجلون) لرؤية أمه المرهقة المتعبة الهشة المتلاشية حاضرة غائبة عن الوجود في أن في هذه الحالة وكأنتها "حزمة عظام مهترئة، شيء منخور لا يماسك، يتداعى إلى الانهيار، ينكمش، يصبح دون معنى" (الرواية، ص125)، فيحاول أن يفكر فيها ميتة، بأدأ جهداً في تصوّر الحياة بدونها رغباً عن تهويل الأشياء، فيتخيلها غير موجودة حيث تركها آخر مرة: فراشها فارغ، وغرفتها غير مرتبة أو خالية من الأثاث، وسبحتها مرمية على الأرض، وعلب أدويتها غير موجودة في مكانها، فيسيطر عليه -آنذاك- الإحساس الأليم بالعدم الذي يفسد كل شيء، والفقد الذي يأتي على كل شيء، والعجز الذي يعطل كل شيء، والشيوخة التي تعكر صفو كل شيء واصفاً حاله من بعدها بقوله: "أرى العدم يسيطر على حياتي، يمنع النوم عني، يبذر الألم في مفاصلي، أنظر إلى وجهي في المرأة فأرى أنني شخت، فجأة شخت، ازداد جسدي تجعداً، عيناى حزينتان، انطفأ وهجهما، تقعرتا" (الرواية، ص131)، فأمة الجميلة الرقيقة الأنيقة الكريمة المضيفة الوداعة هي أمة الطافحة بالنور والجمال، العامرة بالود حتى وإن نخر النسيان ذاكرتها، وشلّ التشويش ذكرياتها، وأصبحت الشكوى طقس حياتها الجديد.

نعم، أمة التي تحب الضياء، وتكره الظلام، وتعشق الأبيض والأصفر والكادي والرمادي الفاتح الذي يساعد القلب على الخفقان، ويفتح الشهية للحياة (انظر: الرواية، ص48)، أمة التي تؤمن أن "النور يوسع القلب، والبنى الداكن يعتم الأفق، والأسود يكدر الحياة، والصياح يبعدنا عن الناس، والرعب يقربنا من الموت، والأرق يسود باطن العين، والفلوس هي وسخ الدنيا" (الرواية، ص100). وكما تنتشق الجدران، وتنتشر الأصابع، وتتلف أنابيب الماء والحفريات، وتتخلل الأبواب، وتهتز النوافذ، تنتشق الروح ويجف نسغ الحياة، وتعطب الأعضاء، وتقصد بالمرض اللعين الذي يحيل الواحد إلى "دار مهجورة خاوية، دار بدون سقف، بدون أبواب" (الرواية، ص138)، فهامي (اللا فاطمة) تكاد تموت بسبب الاجتفاف بعد أصابتها بالإسهال الحاد، "تسوء حالتها شيئاً فشيئاً، ويتبدل لونها، وتجحظ عيناها" (الرواية، ص173) ' وتخور قواها، وترى الموت المحتوم بأمة عيناها، يخبل عقلها فتغرق في ذاكرتها القديمة، يتشوش كل شيء لديها، ويتبلبل فيتسارع ذعرها، ويتكثف قلقها، ويشدّ أنينها ويعظم نواحيها، ويتدفق هذيانها ويمتد بفوضاه، يمتد حدّ الألم المميت، وتغير عليها بعض الذكريات "فتمنحها إحساساً بالغرق في هوة لا قرار لها" (الرواية، ص183)، وكأية عارمة لا انفكاك عنها، وهلوسات مضحكة مبكية في آن، واستغرافات متكررة، "تقوم بالحركة نفسها عشرات المرات، تتكلم، تكلم نفسها مثلما ينسى الإنسان نفسه، تردد بضع كلمات تارة كما هي وتارة بالمقلوب، تغني بصوت خافت، تنندن، ثم فجأة تتوقف" (الرواية، ص222).

وتنسحب (اللا فاطمة) من زمنها، فتتشظى صورتها في مرآتها، وتندغم في وجهها وجوه غرباء كثيرين، فتصحو وتنام بالتناوب، وتحضر وتغيب في الآن نفسه، وتشرذ وتشر، وتخدعها الذكريات فتطفو وتختفي، وتغرق وتقنى، وتطلع وتهبط، ويطيح لسانها فتدع لتلك اللحظة المصيرية المحتومة التي لا يمكن تجاوزها، وترخي نفسها للموت: "في آخر انتفاضة لآخر حقيقة جوهريّة" (الرواية، ص252).

إنّ هذا الموت الذي لا مناص منه، الذي تسلل إلى (الفاطمة) بقسوة ؛ ليستولي الفقد والعدم على دارها وأشائها ليس هو الأقسى، بل إنّ الموت الحقيقي هو ذلك "الفناء أو التلاشي الذي لا يطاق، هو المرض، هو الأيام والليالي التي لا نهاية فيها للتآكل والتفتت والعذاب والعجز، هو ذا الموت، وليس ذلك الجزء من الثانية حين يتوقف القلب عن الخفقان" (الرواية، ص235).

وبهذا يبرع (بنجلون) في تصوير تجربة مرض اعتلال ذاكرة أمّه، وإعادة تأويلها بما يشي بمرارة الفقد وحجم الخسارة، ومدى الألم المحفور في القلب والذاكرة وهو يعود إلى الدار الخربة البالية من بعدها، مواجهاً الفراغ الخانق متذكراً وجه الموت الصارخ الذي رآه بأم عيني أمّه "بكيفية عرضية لا إرادية" (الرواية، ص258)، فقد اضطر إلى رؤية أمّه في موتها الحارق لقلبه - رغماً عنه- كما لم يتمن أن يراها كذلك يوماً، "جسدها ملطخ ببقايا غائطها، ممدد فوق لوح خشبي، وخاصةً فيها المنقعر مثل كوة دائرية سوداء، كوة تطلّ على ظلام دامس لا حدّ له... جسد دمره الألم فزهقت روحه" (الرواية، ص258)، فظلّ راعباً في ختم ذاكرته بالشمع الأحمر، وقفلها على صورة أمّه الخفيفة الرشيقة كفراشة، الجميلة البهية الطافحة بالحيوية والفتوة والصحة والجمال، المهمة بالترتيب، المبتهجة برؤية عائلتها متحلقين بسعادة حول أكلتهم المفضلة التي تننت في طبخها وتقديمها، الحاضرة فيهم دعاء وبركة وبقينا.

• تمثيلات إشكالية مرض اعتلال الذاكرة بين الشرق والغرب روائياً:

ينفتح (بنجلون) من خلال روايته السير ذاتية (حين تترنح ذاكرة أمي) على الآخر الأوروبي مؤسساً لنقافة الاختلاف في كفايات الانشغال بمرض اعتلال الذاكرة الضارب في أعماق الروح الإنسانية، والتعاطي معه في بيئتين مغايرتين، مؤكداً حقّه في هويته؛ إذ إنّ "المرء لا يدرك هويته إلا في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف، عندئذ يرتدّ إلى مكوناته الأصلية التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميزه واختلافه عن الآخر" (حمود، 2013، ص13).

و(بنجلون) إذ يعبر عما يضطرم في أعماقه من مخاوف والألم في قصّه لسيرة مرض أمّه؛ ليحاول اقتحام المخبوء إنسانياً في تصوّر الذات والآخر بروح متسامحة قوامها الاحترام لا الاستعلاء؛ فالمرض هو المرض ذاته الذي يحاصر ذاكرة الإنسان ويسقطها في عتمته سواء أكان عربياً أم غربياً، والوجع هو ذاته الوجع الذي يفتك بالمرء ويشلّه ويعطل قدراته، لكنّ المفارقة تكمن في كيفية الانشغال به أو الاشتغال على مقاومته أسلوباً وحياء.

وينتظر (بنجلون) بدءاً إلى مسألة دور العجزة المخصصة لإيواء كبار السن، فأمره (الفاطمة) المهووسة بدارها المكتفية بها، المتشبثة بفكرة الموت فيها لم تسمع أبداً بدار يتخلص فيها من العجزة، "لا تتصور دقيقة واحدة أن بإمكان أحد أبنائها أن يتخلّى عنها، ويرمي بها خارج دارها، فسواء أسمى المكان "ملجأ" أم "مأوى" أم "مستراحاً" أم دار عجزة" فإنّ مدلوله الذي لا يتغير هو أنّه ما يتخلص فيه من الزوائد والمهملات" (الرواية، ص55)، أما هو ذاته فيستهجن ما رآه شريطاً سينمائياً يابانياً يصوّر أحد مشاهده نقل عجوز إلى قمة جبل مغطى بالثلج بهدف استعجال موته كيلا يكون عالة على أبنائه، ويرى في اعتزال كبار السن وانفرادهم بأنفسهم بعد فقدهم قدراتهم الذهنية والإنتاجية؛ لمواجهة مصيرهم المخيف وحدهم خشية خسة أبنائهم المتوقعة شكلاً من أشكال القتل الرحيم الأكثر عنفاً والأشدّ وخامة، فقد رُبي على احترام كبار السن، والبرّ بهم دون إقصائهم أو تهمة أدوارهم في المجتمع، إذ حقّ البرّ بالوالدين وطاعتهم، والإذعان لهما المكفول دينياً "مسألة تربية، وأسلوب في العيش مع من يحبوننا" (الرواية، ص56) وهو ما قد يبدو "مثيراً للسخرية أو غير مقبول نفسياً في الغرب" (الرواية، ص56).

فالروابط والأواصر بيننا - في المجتمعات العربية - قوّة متينة، مبنية على المحبة والاحترام، "غير قابلة للحساب والتحديد" (الرواية، ص57) في حين أنّها مادية بحتة خاضعة للعرض والطلب والحساب والتحديد في معايير الأوروبيين الأتانية الفظة ؛ فمشهد الرّج بآبائهم أو أمهاتهم في دور العجزة مشهد عادي ومألوف في الغرب، "فالناس هناك لا يصددهم هذا السلوك، هو عندهم عادي، ويعزونه إلى ضيق مساكنهم وافتقارهم إلى الوقت" (الرواية، ص57) ؛ لأنّهم محكومون - بسبب نمط معيشتهم ربما- بمعايير السوق وقيمها الوحيدة "التي يتعين إجلالها وصيانتها" (الرواية، ص58).

ويصور البون الشاسع بين (زيلي) أمّ صديقه (رولان) التي تجاوزت التسعين سنة، وأمّه (الفاطمة) التي داهمها المرض في خمسينيات عمرها؛ ف (زيلي) عاشقة للحياة، مستقلة بذاتها، لا مبالية بغيرها، "تلقائية، تقرأ، تعزف على البيانو" (الرواية، ص155) سرعان ما تتسجم مع إيقاع الحياة دون أن تكلف نفسها عناء الاهتمام بشيء خاصّة بعد ترك شقتها المؤقت، وإقامتها في فندق صغير هادئ في مدينة لوزان على عكس أمّه الأمية التي لم تذهب إلى المدرسة قط، التي تربت في مجتمع محافظ على الطاعة العمياء والإذعان المطلق منذ صغرها، ونشأت على المعتقدات الدينية والغيبيّة والشعبية والتّوسل بها درأاً للحسد وحفظاً للبركة،

وعاشت خائفة قلقة في "عالم مغلق تحفّ به إشارات تتعاقب أمام عينيها من غير أن تستطيع فهمها" (الرواية، ص 14). ويرسم صورة مفارقة لمرض اعتلال ذاكرة (زيلي) عن صورة اعتلال ذاكرة أمّه التي جلاها على امتداد صفحات الرواية، ف(زيلي) التسعينيّة تفقد ذاكرتها لأول مرّة بعد سقوطها أرضاً، ولكنها ما زالت قادرة على التحرك بمفردها، تخرج بين الحين والآخر في نزهة جميلة مع صديقتها الثريّة التي اختارت الإقامة في أفخم دار للعجزة في سويسرا على عكس أمّه التي لم تعد لها أيّ صديقة تفرج عنها همها، أو تؤاسيها أو تأخذ بيديها في محنة مرضها.

ورغم اعتراف (زيلي) بمرضها الذي أحالها إلى كومة عظام نخرة إلا أنّها لم تستسلم له، فهي لا تقفأ تمشي وتحلم وتقرأ، وتفكر بالموت باستمرار دون أن تخافه، فما تخافه أو تخشاه هو الجحيم ذاته الذي ينتظرها عكس أمّه التي تستعجل الموت لتلتقي بالأنبياء المكرمين والأولياء الصالحين الذين أفاضوا - عبره - عليها نوراً وضياء.

ولعلّ من الطريف أن نعرف أنّ (زيلي) رغم هزرها ظلت حتّى موتها متشبّهة بحبّ الحياة ما استطاعت إليها سبيلاً، لم تحاول الانسحاب منها بموت طريف ممتع رحيم قوامه كوكيتل ذاعف/سامّ قاتل يُميت من يشربه بسرعة، بل ماتت إثر اختناقها بعد تناولها الغداء بشربة ماء في يوم جميل من أيام يوليو في سطيحة مطعم "ميرابو" في لوزان برفقة إحدى صديقاتها، وأوصت بحرق جثمانها ونشره في حديقة الذكريات في حضرة بعض صديقاتها بعيداً عن أعين الصحافة أو سلطة مراسم الاحتفال الكنسي الديني (انظر: الرواية، ص 220).

وأما ولدها (رولان) فقد تلقى خبر موتها دون كثير اهتمام عندما كان يتلهى بلعبة كرة الطاولة في مسبح بولي؛ إذ لم يُعَيّ نفسه بفكرة قطع اللعبة، والذهاب إليها بعد أن أخبرته الشرطة بالخبر، بل عاد - بكل برود - إلى الطاولة ليستأنف اللعبة قائلاً: "هي الآن ميتة، لا بدّ إذن من أن أنهي المباراة خاصّة وأنّي أفوز على خصمي" (الرواية، ص 220).

ولعلّ هذه القسوة واللامبالاة وهذا البرود هو ما يميزهم مقارنة بالمشاعر الصادقة التي كانت تعتمل في داخلية (بنجلون)، فيتألم لألم أمّه، ويهاثف طبيبها على الدوام؛ ليطمئن عليها، وينتقل بين باريس وطنجة بين الحين والآخر؛ يسليها ويواسيها خاصّة وأنّه الأقرب إلى قلبها والعزیز عليها، وحبّه لها غير عقلاني ولا مغرض.

• إكرام إنسانيّة المريض باعتلال ذاكرته/الزهايمر ورعايته إنسانياً وروائياً:

معلوم أنّ الإحساس بالألم إحساس غير مستحب ولكن يجب فهم الألم وإدراك ماهيته وأهميته؛ فالعالم يغدو أكثر اتساقاً بتخفيف المعاناة، وتحسين وسائل مقاومة الألم ولا سيما المتعلق باعتلال الذاكرة الذي يبدأ جزئياً، ويصير كلياً مع مرور الأيام فيُصير صاحبه شخصاً آخر قد لا يمتّ بصلة للإنسان السابق بعد تشوّشه وتوهانه، وانعدام قابليته للحياة، واكتنابه وعدوانيته، وهولسته وفقدته لقدراته الذهنيّة، وعدم قدرته تبعاً على التّحكم بحاجاته الضروريّة، واقتراحه بعض السلوكيات الغريبة غير اللائقة دون وعي، مع الاستغراق في الأسئلة وترداد الإجابات وغيرها من العوارض الأليمة.

ولا شكّ أنّ من يقوم على رعاية المريض بمرض اعتلال الذاكرة/ الزهايمر هو الذي يواجه المحنة القاسية التي تدعوه إلى اختبار الألم، ومحاولة تطيقه مع حاجته إلى الكثير من الصبر والإيمان؛ فذاكرة مريض الزهايمر قد تغدر وقد تخون، وقد تتلاشى ولا تتذكر الحدث، أمّا ذاكرة من يقوم عليه فإنّها باقية دائمة - ما لم يعتورها عارض - ومن الصعب إسقاط هذه التجربة الأليمة من ذاكرته بكلّ ما فيها من متناقضات وأوجاع وآلام.

ولقد أبدع (بنجلون) إنسانياً وروائياً في تصوير كميّات التّعامل مع مرض أمّه الموجه المتمثل في شخصه من ناحية، ومن حواليه والخادمة (كلثوم) خاصّة من ناحية أخرى؛ فقد كان (بنجلون) أقرب أخوته إلى أمّه، وأحبّهم إلى قلبها منذ ولادته كونه آخر العنقود في كرمتها، وأكثرهم قدرة على فهم ترنح ذاكرتها منذ انكفائها على ذكرياتها البعيدة، فنراه يُقبل عليها مُقبلاً ليدبها، مهتماً بأحوالها، محترماً لخصوصيّة ذكرياتها، متفهماً لتشوشها وقلق بلبلتها، يتفقد أحوالها حاضراً كان أم مسافراً، يقف عند رأسها، يمسك بيديها، يحادثها ويطمئنّها، ويكلّمها بصوت مهموس طالِباً - منها - أن تدعو له؛ ليحسّ إحساساً غير معقول بأنّه "محمي من كلّ سوء" (الرواية، ص 40).

وها هو يحنو عليها، ويحرص على عدم مضايقتها وتناول طعامها؛ لأنّ "الأكل بالنسبة إليها هو رعاية لرابطة عاطفيّة قويّة دائمة" (الرواية، ص 77)، ويجيب على أسئلتها المتكررة نفسها بالجواب نفسه دون كلل أو ملل، ويتمالك نفسه كثيراً حين تخطئه بأخيه فتسأل عن أحوال أبنائه، وتتسبب أبناءه إلى أحد أولادها الآخرين، مُطمئناً إلى أنّها ستعود ذات لحظة إلى رشدها فتستعيد صحوها، وستعود كما يؤكّد: "جميلة وأنيقة، ذكيّة ورقيقة، واعية بما تعانيه، ومدركة لكل ما يحدث حولها" (الرواية، ص 12) على عكس أخيه الذي تدمع عيناه لرؤية أمّه تخطط بين أبنائها وأحفادها، وتخرف وتشرّد؛ لغلبة مدّة هذيانها على مدّة صحوها.

ويجي الروائي (بنجلون) هذر أمّه وثثرة هذيانها ويتقهمه فلا يعيره اهتماماً، لا يصدّها أو يردها أو يلجمها؛ إذ لا يملك إزاء هذا الهراء إلاّ الإنصات لها من غير معاكستها أو إغاضتها، ويقدر تبعاً لذلك دور خادماتها (كلثوم) المرهق في رعاية أمّه وتحملها لها، مبرراً لها نزقها ونفاذ صبرها في كثير من الأحيان، وفقدان سيطرتها على أعصابها أو قدرتها على التحمل حتى وإن كانت تستخدم ذلك كأسلوب مراوغ للضغط وطلب زيادة أجرتها؛ "فما تقوم به لا يقدر بثمن، أن تحمل بين ذراعيها امرأة مسنة إلى الحمام، وتنظفها وتلبسها وتطمئنّها، وتجيب للمرة العاشرة عن السؤال نفسه، وتعيدها إلى غرفتها، وتناولها أدويتها، وتهيي طعامها وتسهر عليها ولا تفارقها" (الرواية، ص28)؛ لعدم قدرة ابنتها (ثرثا) التي تعاني - منذ موت زوجها- من الانهيار العصبي على فعل هذا كلّهُ.

ويشكّل وجود الخادمة (كلثوم) في حياة (اللا فاطمة) علامة فارقة إلى جانب كون وجودها ضرورة لا مندوحة عنها صارت سلطتها نافذة طاغية إلى حدّ مريب، وكأنّ الرقعة الطويلة لأكثر من عشرين عاماً في التمريض والتطبيب والمداواة والمداورة صارت ميثاقاً مقدساً بينهما رغم فظاظة (كلثوم) وقسوتها أحياناً.

ولا تقتأ (اللا فاطمة) التعبير عن مخاوفها غير المتناهية من مرض اعتلال ذاكرتها مرّة، ومن ارتيابها في (كلثوم) ونواياها الخبيثة مرّة أخرى، فهاهي ترتاب في نظراتها وتتوجس خيفة منها وكأنّها الشر الذي لا بدّ منه، يمتلكها الخوف، "الخوف من أن تتخلى كلثوم عنها حين يبقيان رأساً لرأس في المنزل، الخوف من ألا تناولها الدواء، الخوف من أن تتركها دون أكل أو أن تطعمها لحماً فاسداً، الخوف من أن تضربها كما لو كانت طفلة صغيرة ارتبكت حماقات" (الرواية، ص6)، وفي الآن نفسه تقدر صنيعها الذي لا يقدر بثمن، وتبرر لها تأوها وتافقها وانزعاجها من الهذر والسأم والهولسة والارتباب المفرط فتقول لولدها (الطاهر) في صحوها: "أنا لست حمقاء، كلثوم تعتقد أنني فتاة صغيرة، توبخني، تهددني، لكنّي أعرف أنّ مداومتي على الأدوية لها أثر يوهمني بأنها خبيثة، إنّها بالعكس: طيبة، كل ما في الأمر أنّ تفرغها للعناية بي بدأ يزعجها ويتعبها، فهي التي تنظفني كلّ صباح، هل تعرف يا ولدي إنّها هي التي تجمع خرائي وهو ما لا أستطيع أن أطلب منك أو من أخيك فعله لذلك لا حيلة لي سوى أن أغضض عيني عن كثير من ردود أفعالها" (الرواية، ص6).

ويبدو أنّ (كلثوم) التي تضيق ذرعاً مع الأيام بـ (اللا فاطمة) المريضة، كثيراً ما تقوم باستغلالها والاستيلاء على فساتينها وقطاطينها ومصاغها وأشياءها، "معتقدة أنّها تستحقها بقوة الحياة" (الرواية، ص40)، فتثير بذلك أعصاب (اللا فاطمة) وتغيظها بل وترعبها بنظراتها الشرسة عندما تعمد إلى ابتزازها، وتخويفها بالانصراف عنها؛ فـ (اللا فاطمة) لا تطيق فكرة ذهابها أو تخليها عنها في محنتها هذه؛ إذ ترى في (كلثوم) صورة الزوج الرابع المستبد الغضوب المتنمر الذي لا يرضى فيشبع إلاّ بزيادة القلوس (الرواية، ص123).

وهذا ما يدفع (كلثوم) إلى بسط سيطرتها على الدار، وسطوتها على (اللا فاطمة) وأولادها رغم امتعاضهم من عنف سلوكها معهم أحياناً، فقد حصل أنّ قامت بقطع التيار الكهربائي عن جهاز الهاتف كي تريح نفسها من اتصالات أبناء (اللا فاطمة)، مذكّرة لهم بأهميّة سلطة وجودها ونفوذها وجدارة استحقاقها بقولها لهم دون خجل: "انتبهوا لألسنتكم حين تكلمونني، ولا تنسوا أن تتركوا لي ما يكفي من المال لشراء ما نحتاج إليه، هناك شيء آخر، أنا لا أقبل أن يتدخل أيّ كان في تدبير شؤون الدار، فأنا التي يجب أن أتكلّف بكلّ شيء، وهو ما أستحق عليه تعويضاً بكلّ جدارة" (الرواية، ص151).

إنّ ما يبرر جرأة (كلثوم) في فعلها وقولها إدراكها التام عدم قدرة غيرها على النهوض بعبء مرض (اللا فاطمة)، فهي مثلهم تماماً تهلع لهلعها، وتتأوه لهذيانها، وتأسى لحالها ووسواسها، وتتألم لألمها، وتتوجع لإحساس أن تصبح مثلاً في قريب الأيام، تخاف أن تصبح مختلة العقل، تنتهي "في زاوية غرفة بين الحمق والأرق" (الرواية، ص190) دون أن يفكر فيها واحد من بنيتها، وتخشى أكثر جنونها وموتها من غير أن يعني لواحد منهم شيئاً؛ فهي وحدها في محنة أرق (اللا فاطمة)، ومحنة الإنصات إلى هذيانها، ومحنة جمع أوساخها، ومحنة تنظيفها، ومحنة الجثو على ركبتيها لغسل الأرض، فيُخيل إليها في كثير من الأحيان أنّها هي المريضة المشوشة وليست (اللا فاطمة) حسب.

وهذا ما يؤكّده معظم الباحثين في رعاية كبار السن عامة والمصابين بداء الزهايمر خاصّة، فما أحوج القائم على رعاية المريض بالاهتمام والمواساة والاحترام والتقدير دون اللوم والتأنيب أو التثظير أو الانتقاد!

ولعلّ من غير الطريف أن نجد (كلثوم) نفسها تواجه موت (اللا فاطمة) في آخر الرواية بالرغبة في الاستحواذ أكثر من الرغبة في البكاء وإظهار الحزن والأسى، لتبدو الخادمة الأخرى (رحيمو) "أكثر رقة ورحمة وأشدّ تأثراً بهذا الفقدان الفادح" (الرواية، ص259)، وتظل (كلثوم) الأكثر تحفزاً وتيقظاً في البحث عما يمكن الاستيلاء عليه بلا خجل أو حرج، فهي هي تبدو كالمسورة

تنتظر، ترتب الغنيمة في الحقائق، تخلي الغرف، تزرع الدار كأفعى مقطوعة الرأس، مستاءة، قلقة" (الرواية، ص 259)، "تظراتها توحى بالغدر... حزينه؛ لأنّ مورد نهبها نضب" (الرواية، ص 260).

• تمثيلات أثر مرض اعتلال الذاكرة / الزهايمر في البناء الفني الروائي.

إنّ لكلّ عمل فني إبداعي صوته المائز، وإيقاعه الخاص، وتشكيله البنائي غير الثابت أو القار أو المطلق الذي يستثمر الكاتب فيه أدوات التخييل الفنية؛ لخلق عالم جمالي جديد لا يكون انعكاساً لواقعه المجرد حسب، بل يكون إبداعاً دالاً جديداً قابلاً للقراءة والصياغة وإعادة الإنتاج والتشكيل من جديد.

وما رواية (حين تترنج ذاكرة أمي) في شكلها السير روائي إلا سيرة خطاب الراوي ومرويات تداعيات أمّه المريضة المأزومة بمرض اعتلال ذاكرتها، المُرتنه بوظيفة قطع الحاضر، واسترجاع الماضي، واستبطان الذات التائهة عن نفسها، المنشطرة بين عالمين وزمنيّين متباينين؛ إذ لم تعد رؤية الفنان للواقع وموقفه منه مؤثرة في اختياره لموضوعه حسب، بل تجاوزت ذلك إلى اختياره للتكنيك الفني الذي تناول به هذا الموضوع محوّل له من مناخه المكاني والزمنيّ خارج الذات إلى مناخه الإنسانيّ داخل الذات عبر عملية الخلق الإبداعيّ المؤثر إنسانياً وجمالياً معاً في المتلقي.

وقد بدا أثر اعتلال الذاكرة في البناء الروائي لرواية (بنجلون)، (حين تترنج ذاكرة أمي) التي اتخذت الشكل السيري الروائي أساساً لها كما أوضحنا سالفاً فيما يأتي:

أ. العنوان الإشاري الدال:

يشكل عنوان الرواية (حين تترنج ذاكرة أمي) لبنة أساسية من لبنات البناء الروائي، وعتبة أولى رئيسة من عتبات النص، ومخدلاً مهماً لولوج عالم النص الجواني وعنصراً دلالياً فنياً لا بدّ منه للإحياء بمحتوى النص الروائي بما يمتلك من أبعاد رمزية تأويلية تدفع القارئ إلى تتبعها، ومحاولة استنطاقها، واستكناه دوالها؛ كونه: "أعلى اقتصاد لغويّ ممكن يوازي أعلى فعالية تلقى ممكنة تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته" (قطوس، 2001، ص 6)، وفهم مراميه.

وتتداخل الدلالة المعجمية الأولية في العنوان مع السياق في المستوى الدلالي نفسه؛ فالترنج لغة: تمايل من السُكر وغيره، ووهن وضعف في الجسد من ضرب أو فزع أو سُكر (المعجم الوسيط، 1972 ص 375) أمّا طبياً فالترنج اختلاج حركي (www.mayoclinic.org/)، والترنج "عبارة عن ظاهرة طبية غير محددة تتضمن الاختلال الوظيفي في جزء من النظام العصبي المسؤول عن تنسيق الحركة" (ar.wikipedia.org).

وإذا كان الترنج تمايل واضطراب وفقدان توازن، وعدم انتظام في الحركة فهو هذا وأكثر في الذاكرة المستباحة التي تغدو وتروح، وفي الذكريات المفقودة التي تطفو وتخبو إذا ما اعتراها المرض، وتسلل إليها كما فعل ب (اللا فاطمة) الأم فحوّلها إلى "كائن صغير ذي ذاكرة مترنحة" (الرواية، ص 5) متساقطة منقهرة منكفئة: تطلع وتنزل، وتشرّد وتهتر وتخرّف، تخطل الشهور بالأيام بالأعوام، "لا تفرق بين هذا الحدث وأحداث أخرى مشؤومة" (الرواية، ص 95)، وبذا يكون العنوان بالمعنى الإيحائي الجمالي دالاً على النص، حاملاً للمدلول، موازياً له بل موحياً به بما انماز به تشكيلاً وبناءً.

ب. رسم الشخصية الروائية الاستبطاني المتعلق بالحدث.

يعي (بنجلون) أنّ لا وجود للشخصية الروائية المتأثرة بالحدث المؤثرة في نموه وخط سيره، وتكثيفه وتصعيده خارج حدود الزمان والمكان اللذين يصوغان وعيها، ويحدّدان مواقفها، ويوجهان سلوكها، ويحيوان أفعالها من جهة، وأنّ لا قيمة لهذين العنصرين الرئيسيين (الزمان والمكان) في الوقت نفسه في البناء الروائي خارج وعي الشخصية نفسها من جهة ثانية، فيبدع في رسم شخصية أمّه نواة عمله الروائي، وأسلوب تقديمها الذي يطر مرارة، وينزّ أسى، مستعيناً بالأسلوب التصويري الاستبطاني غير المباشر في تقديمها إلى المتلقي.

ويلج بنا إلى عالمها الداخلي الخاص وما يعتمل فيه أو يمور عبر عناصر تكنيك تيار الوعي المورّع بين التداعي الحر المكثف، وأحلام اليقظة، ومناجاة الأطياف، ومونولوجات الهذر والترثرة والهلسة المفعمة بالألم، وديالوجات الخارج الملفوظ الذي هو صدى لانتفاعلات الذات ومشاعرها، ورؤاها السابرة لأغوارها، المفصحة عن عمق تيهها ودرجات اضطراب وعيها، المصوّرة لوجوه محنة مرضها المتعدّدة.

ويصعد الروائي بترنج ذاكرة أمّه المعتلة الحدث ويكثّفه؛ ليحمّله بحمولات دلالية كبيرة تشير إلى ما هو أبعد من فعل الموت الظاهر، وتؤمّي إلى ما تحاول الرواية طرحه من معان خطيرة المغزى في تجربة المرض، وما تثيره من الألم وأوجاع عامّة

وخاصة تنغص الحياة وتشلّها.

ج. البناء الفني المتقطع والزمن المتشظي:

يميل الروائي (بنجلون) إلى تمثيل الذاكرة بكل ما فيها من متناقضات لا تملك الذات الساردة إزاءها إلا الإذعان وهي تطالع نفسها المترججة تحت قشرة الوعي الغائب، وعلى حافة الوجود والعدم، وعند إمكانات اليقظة والغياب، مضطراً إلى بناء روايته بناء شذوياً متقطعاً لا يخلو من مفارقات زمنية، تتخلل السرد محدثة تقاطعاً بين ما هو شخصي وعمومي في الآن نفسه.

فيقسّم الروائي روايته إلى ستة وثلاثين فصلاً روائياً⁽²⁾ غير معنون، يعبر فيها عن تحولات مرض أمّه، منتقلاً بين الفصول وفق استرسال مفرط في الاسترجاع، غير أبه لكونولوجية السرد أو تواتره، خالطاً بين الأزمنة والأمكنة متحركاً في فضاءاتها كما تتحرك الذاكرة المنزاحة المترججة تماماً؛ فعلاقات الزمان/المكان والفني تتصهر متداخلة في بعضها، متأثرة بغيرها من عناصر البناء "في كلّ واحد مُدرك ومُشعّص، الزمان هنا يتكثف، يتراص، يصبح شيئاً فنياً مرئياً، والمكان أيضاً يتكثف، يندمج في حركة الزمان والموضوع" (باختين، 1990، ص 6)؛ ذلك لأنّ الزمن الروائي ليس زمناً واقعياً حقيقياً، إنّما هو "زمن تكثيف وقفز وحذف وتقنيات يستخدمها الروائي لتجاوز التسلسل المنطقي للزمن الواقعي الموضوعي، إنّهُ زمن مرن يتحرر فيه الروائي من قيوده؛ فهو الخالق لزمّنه الروائي، والمشكّل لكلّ بنية روائية" (عوض، 2002، ص 31).

ويبرع (بنجلون) في تشكيل زمن روايته وبناء مفارقاته، فيتغلغل الماضي في الحاضر، ويمتدّ متجاوزاً متشابكاً مختلطاً في لحظات القلق والانتظار والخوف، والارتباب والترقب، والضجر والملل والفراغ والسأم، ويتلاشى ويتبدّد في غيبة الحسّ بمعناه؛ إذ يبدأ زمن القصّ من نقطة النهاية ثم يمضي متقطعاً متكرراً سائراً إلى الأمام تارة، وعائداً إلى الوراء تارة أخرى، مكثفاً متراصاً حيناً ومختزلاً حيناً آخر من خلال استخدام تقنيات ما اصطلح على تسميته بـ (تيار الوعي) الذي يحاول "تقديم داخلية الشخصية على الورق ككلّ فن روائي، والاقتراب قدر المستطاع إلى محاكاة هذه الداخلية" (غنايم، 1993، ص 11).

ويعنى (بنجلون) بتصوير أثر الزمن النفسي في الشخصية وشعورها، ويعمد إلى توظيفه "كإيقاع نفسي في توظيف دلالي" (العبدة، 2005، ص 194)، فيحاول تجسيد الإحساس بمروره بطيئاً ثقيلًا أو سريعاً خاطفاً، أو عدم الشعور به أساساً عندما يغيب معناه، ويفقد أثره وتأثيره؛ ذلك لأنّه زمن خاص متفرد لا تحكمه المعايير المحددة، يتبدّد ويتبخّر ويضيع في المكان، ويستحيل إلى شيء لا يمتّ إلى عالم الحياة بصلة، فيفقد تبعاً لذلك معناه عندما يطغى خوف أمّه ووسواسها على كلّ شيء، فيستشري قلقها وينتشر اضطرابها، وتفقد حسّ التمييز، وتختلط عندها حدود الممكن بالمستحيل، وتتدغم المراثيات وتتشظى، وتغيب التوقعات، وتتقطع الصلات بالحياة.

فها هي (اللا فاطمة) تفقد حسّ الزمن، وتشعر أنّه توقف بعد أن نخرها بل "نخر كلّ شيء" (الرواية، ص 139)، تتسحب من واقعها خارج الزمن، وقد غدرت بها الذكريات فسرفت منها حاضرها، وأسلمتها إلى خلط في الأزمنة والأمكنة والساعات والليالي والأيام والشهور والأعوام؛ ليمتدّد فيها شعور العدم وللاستقرار، فتقتاتك "فتات الأيام حتى يفرجها الله" (الرواية، ص 39)، وتتحني على "حتات الزمن" (الرواية، ص 235)، تعود بزمنها إلى (فاس) المحفورة في وجدانها وهي مقيمة في (طنجة) مدينة التناقضات، وتتنزع زماناً إلى دارها الأولى وحياتها الأولى وذكراياتها الأولى حسب، "لا تفرق بين الأوقات، ولا تميز العيد الصغير الذي يأتي في نهاية شهر رمضان، والعيد الكبير الذي يحلّ بعده بسبعين يوماً، وتذبح فيه الأضاحي" (الرواية، ص 103).

ويحدث لها أحياناً أن تستعيد وعيها بضع هنيهات "فتستخف بما يعثور ذاكرتها من تلف، غير أنّ هذه الهنيهات أصبحت تقلّ وتقصّر مع مرور الأيام، لا يؤلمها ذلك، لكنها تقنط، فتستقيل حينئذ من الزمن الحاضر، وتلوذ بمفردها بأقاصي ماضيها، تحفّ بها من كلّ جانب أطياف وخيالات من ذلك الزمان الغابر، المؤنس والبريء" (الرواية، ص 192-193).

ويبرهن (بنجلون) على فعل الزمن المعطل المختلط في ذاكرة أمّه المعتلة السادرة في تيهها، واصفاً ظلاله الثقيلة عليها، وأثره البالغ في نفسيتها وملامحها بقوله: "هي الآن منكورة على فراشها في صمت، تحديق في الفراغ، الزمن! ماذا يفعل الزمن؟ أظنّ أنّه معطل، يحوم حولها كأنّها قشة لا يبالي بها أحد، يقفز من فوق الجسد المهزول كطيف، لقد نسيها الزمن، هي هنا، لكنّه هناك، خارج الزمن الحاضر، موتدة في سنوات الأربعينات، وفيّة بأشباحتها وخيالاتها" (الرواية، ص 223-224).

د. الراوي واللغة الوصفية الشعرية.

(2) إنّ المدقّق في عدد الفصول المرقّمة يلاحظ أنّ عدد الفصول الفعلية (36) فصلاً روائياً حسب، رغم أنّ الفصل الأخير مرقم بالعدد (37)، إذ سقط من الرواية الفصل (26) ممّا استدعى التتويه، ولعلّ الخطأ كامن في ترقيم الفصول لا في تعدّد إسقاط واحد منها هو الفصل (26).

وإنّ اللغة هي أهم معلم ينهض عليه البناء الفني، فيها تتضافر عناصر النص وتتلاحم في وحدات متصلة، وبها تنطق الشخصية أو "توصف بها أو تصف هي بها" (مرتاض، 1998، ص125)، وأما الراوي فيأخذ على عاتقه عملية القصّ اللغوي التي يتداخل فيها السرد والوصف والحوار بوصفه عنصراً مهماً من عناصر العمل السردى الروائي، فتختلف طبيعته، ويتغير موقعه وتباين صورته تبعاً "لاختلاف الوظائف التي يقوم بها وبالمقدار الذي تحظى به كلّ منها في النص" (الكردي، 1996، ص77). ويعتمد (بنجلون) في روايته السيرية (حين تترنج ذاكرة أمي) إلى استخدام ضميري: المتكلم والغائب في قصّ الأحداث، ومتابعة خط سيرها والمزاوجة بينهما، فنجدّه يستخدم أسلوب الراوي العارف العالم بكلّ شيء أو العليم به الذي لا تقوته الحركات ولا السكّنات، الناقل لها بضمير الغائب الذي يحرره من الانزلاق في إसार الشخصية نفسها رغم قربه الجرم منها مستعيناً بأدوات أسلوب تيار الوعي في تشكيل مرويها، وتصوير مدى وعيها - أي أمه - بأبعاد مرض اعتلال ذاكرتها، وعكس واقع حالها الشديد التعقيد والاضطراب، وما يعتريها من الآلام والأحزان القائمة الموحجة.

ويعود من بعد ذلك موظفاً صوته المائز؛ لتعريّة أغوار الذات، والمشاركة في الحدث، وروايته بضمير المتكلم أي بضمير أنا؛ لعلاقته الحميمة بأمه التي هي جوهر وجوده في صحوها وغيابها، وصحتها ومرضها، وسعادتها وشقائها، وسرائها وضرائها معاً، فيتمكن بذلك من "ممارسة لعبة فنّية تخوله الحضور في الحدث، وتسمح له بالتدخل والتحليل بشكل يؤدّ وهم الإقناع" (العيد، 1990، ص95-96)، ممّا يجعل المتلقي القارئ أكثر قرباً من الشخصية الرئيسة ومنظورها النفسي والاجتماعي والإنساني، وأكثر تعلقاً بالعمل الروائي والتصاقاً به.

وتمتاز لغة الرواية - المترجمة - على امتداد صفحاتها وفصولها بشفافيتها وشعريّة الوصف والمجاز والانزياح، والتشبيه والتكرار والتكثيف المركز، وغلبة الجمل الفعلية القصيرة فيها على الجمل الاسمية في معظم تفاصيل مرويها عن الذات المخدولة في وعيها ولغتها؛ فحسّ الروائي المرفه اللغوي الجمالي بالكلمة الموحية المكثفة، والصورة الدالة المعبرة النابع من الإحساس بالغربة والضياغ وفقدان الذات يدفعانه إلى نسج الرواية بحرفيّة لغويّة طاغية تشدّ القارئ من بدايتها إلى نهايتها.

وتصير اللغة الجمالية الشفيفة المنزاحة الإيحائية وعاء دلاليّاً لانكسارات الذاكرة وتشظي الوعي بها، يحفر بعمق في الذات في زحمة ارتباك الذهن، وتتأبّع الهلوسات وهذرها الطاعي بلا انتظام أو ترتيب، فكأنّ الرواية: "حقل يختلط فيه الذاتي بالموضوعي، والدخل بالخارج، والظاهر بالباطن، وفي هذا الحقل لا يكون السرد نقلاً وصفيّاً، بل يكون حياة إيقاعية كاملة" (خوري، 1982، ص85).

فيكيفيك لتتأكد أنّ تقرأ الرواية بأسرها، لنقف عند براعة وصف حال الأم (اللا فاطمة) وقد ساء حال هذيانها، وسرقها الغياب من حياتها وحياة الآخرين على لسان ابنها المفجوع بمرأى ما يراه كوصفه - على سبيل المثال لا الحصر - قائلاً: "تشخص ببصرها نحو السقف ثم تغيب في غياهب لا وعيها، هاهي من جديد في فاس تلهو مع أخيها الأصغر بلعبة الغمضة، تناديه، تطلق صيحة ثم تغيب في غشية طويلة، أراقب تنفسها، فمها فاغر باستمرار، الذكريات تخذعها، فتطفو وتختفي، توهمها بأنها تحيا وتضحك، ثم تكفهر وتغرق في بئر عميقة، تخاف أن تنجرّ معها، أن ترلّ بها قدمها فتبقى تحت الماء، تقاوم أشباحاً... أراها تحرك يدها كأنها تريد أن تُنحي طيفاً ما" (الرواية، ص234).

• الخلاصة:

خلصت هذه الدراسة المعنونة بـ تمثيلات مرض اعتلال الذاكرة / الزهايمر في رواية السيرة الذاتية رواية (حين تترنج ذاكرة أمي) للروائي المغربي (الطاهر بنجلون) أنموذجاً إلى أنّ:

• الرواية العربية الأكثر قدرة على التعبير عن الذات وانشطارها، والتصاقاً بالواقع المعيش غير الثابت أو المطلق أو القار، وإمكانية للاستفادة من الأجناس الأدبية الأخرى.

• إشكاليات قواعد التجنيس الأدبي الصارمة مردّها إلى: تباين مرجعيات الدراسات الإبداعية، واختلاف مناهج الترجمة ومصادر النقل، وانتقاء معايير التمييز الفاصل بين حدّي الجنس والنوع.

• العلاقة بين السيرة الذاتية والرواية وتداخل جنسهما، وتناحم حدودهما كثيراً ما تُقضي إلى نصوص إبداعية مثيرة تستوجب القراءة والنقد والتأويل.

• التخيل جوهر العمل الفني وأساسه، والصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، وفي كل أثر أدبي ثمة درجة من درجات حضور العنصر الذاتي سواء على مستوى الرؤية أو التشكيل.

- استثمار تجربة المرض وإعادة تشكيلها روائياً، وسبر أغوار المعاناة فنياً يحيل الألم إلى مرتكز تخيلي يسهم في فهم ماهيته، واستبطان عوالمه بكثير من الإنسانية والحميمية.
- مرض اعتلال الذاكرة المعروف بالزهايمر أشد الأمراض قتامة ووخامة؛ لخطورته في شلّ قدرات ضحيته الذهنية والجسدية تبعاً؛ إذ يبدو أقسى وطأة من الموت نفسه ولاسيما في مراحل المتأخرة.
- الاسترجاع الماضي عبر التذاعيات والمرويات شكل من أشكال اختبار الذاكرة المعتلة بمرض الفقد، المؤرقة بوجع مساءلة الذات.
- تمثيلات ألم اعتلال الذاكرة في رواية (بنجلون): (حين تترنح ذاكرة أمي) المتمثلة في الخلط والهذر، والثرثرة والهلوسة، وفقدان حس التمييز كانت أقسى الشهادات، وأشدّها وجعاً في تشكيل المرض روائياً، والتعبير عن سطوته رؤية وتشكيلاً.
- البون شاسع في كفيات الاهتمام ب كبار السن ورعايتهم أسرياً في البلاد العربية عنها في المجتمعات الغربية الاستهلاكية المحكومة بمعايير السوق المادية.
- إكرام المريض المعتل بذاكرته، المخذول في ذكرياته، المسروق من نفسه يكون بالصبر والتحمل والتغاضي والتعاطف والحنو، بعيداً عن التأييب أو التقريع أو النقد الجارح.
- الاستبطان التصويري، والتقطيع الزمني الشذري، والاسترجاع الماضي الاستعادي، والتداعي الحر، واللغة الإشارية الوصفية الشعرية الشفيفة الموحية من أهم علامات الشكل الفني في رواية (بنجلون) (حين تترنح ذاكرة أمي).

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- إبراهيم، ع. (2007) موسوعة السرد العربي، ط2 بيروت، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أبو سيف، س. (2008) الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط1 عمان، دار الشروق.
- باختين، م. (1990) أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، د. ط دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
- الباردي، م. (1997) السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مجلة فصول القاهرة، ع3، مج16، الهيئة العامة للكتاب.
- بنجلون، ط. (2013) حين تترنح ذاكرة أمي، ترجمة: رشيد بنحو، ط3 الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- تيرسن، ر. (2003) حول داء الزهايمر، ط1 بيروت، الدار العربية للعلوم.
- الجنابي، ق. (2012) الرواية العراقية المعاصرة (أنماط ومقاربات)، ط1 دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة دراسات.
- حمود، م. (2013) إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ط1 الكويت، مارس 398، منشورات عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- خليل، إ. (2012) الرواية، التاريخ، السيرة (دراسات في السرد الروائي)، ط1 عمان، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.
- خوري، إ. (1982) الذاكرة المفقودة، ط1 بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- خوري، ل. (2006) الذاكرة (الاضطرابات والمشاكل، العلاج والرقابة)، ط1 بيروت، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الرياحي، ك. (2005) حركة السرد الروائي ومناخاته في استراتيجيات التشكيل، ط1 عمان، دار مجدلاوي.
- الزباد، ف. (2002) الذاكرة (قياسها، اضطراباتها وعلاجها)، ط1 الرياض، دار المريخ.
- الزهراني، م. (2004) القراءة الحوارية لعلاقات السيرة الذاتية بالرواية، الرواية العربية (ممكّنات السرد) أعمال الندوة لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر 11-13 ديسمبر، ط1 الكويت، ج2.
- شبانة، س. (1999) مريض الألزهايمر (إكرام إنسانيته، وإرشادات للقائمين على رعايته)، مراجعة طبية: دنادية عبد الوهاب، ط1 القاهرة، دار المستقبل العربي.
- شحيد، ج. (2011) الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة، ط1 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الشوابكة، س. (2015) الزمن النفسي في رواية السجن السياسي (تلك العتمة الباهرة) أنموذجاً للروائي المغربي الطاهر بن جلون، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية (سكوباس)، مج42، ع3، عمان، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.
- شوشار، ب. (1992) الألم، ترجمة: هالة مراد، ط1 القاهرة، دار المستقبل العربي، المكتبة العالمية.
- عباس، إ. (1965) فن السيرة، ط2 بيروت، دار الثقافة.
- العبدالله، ي. (2005) الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون)، ط1 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبيد، م. (2011) التشكيل السرد (المصطلح والإجراء)، ط1 دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

- عبيد، م. (2005) تظاهرات التشكل السير ذاتي (قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية)، ط1 دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عثامنة، ف. (2010) السرد في رواية السيرة الذاتية العربية (دراسة في البناء والتقنيات والنوع)، رسالة دكتوراه إريد بإشراف أ.د. نبيل حداد، جامعة اليرموك.
- العدوني، ع. (2010) الصحة والمرض: رؤية سوسيو أنثروبولوجية، المجلة العربية لعلم الاجتماع (إضافات)، ع9 بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- عصفور، ج. (2000) زمن الرواية، ط2 القاهرة، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع.
- علي، و. (2014) ماذا تعرف عن الزهايمر، مجلة الإدارة، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، ع1 القاهرة، مج15.
- عليان، ح. (2012) تداخل الأجناس الأدبية (الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب)، ط1 عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- عوض الله، م. (2002)، الزمن في الرواية العربية (1960-2000)، رسالة دكتوراه عمان، بإشراف: أ.د. محمود السمرة، الجامعة الأردنية.
- العبد، ي. (1990) تقنيات السرد الروائي، ط1 بيروت، دار الفارابي.
- غنايم، م. (1993) تيار الوعي في الرواية الحديثة (دراسة أسلوبية)، ط2 بيروت/ القاهرة، دار الجيل، دار الهدى .
- فروهد، ك. (1998) موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، مراجعة وتقديم محمود عباس، ط3 حيفا، مج1، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر .
- فضل، ص. (2014) التمثيل الجمالي للحياة، ط1 القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، سلسلة النقد العربي (3).
- الفصيل، س. (1995) معجم الروائيين العرب، ط1 طرابلس، لبنان .
- القرعان، ف. (2012) خطاب المرض في السرد العربي الحديث (السيرة والرواية)، رسالة دكتوراه إريد بإشراف أ.د. خليل الشيخ، جامعة اليرموك.
- قطوس، ب. (2001) سيميائيات العنوان، ط1 عمان، منشورات وزارة الثقافة.
- الكردي، ع. (1996) الراوي والنص القصصي، ط2 القاهرة، دار النشر للجامعات.
- لوبورتون، د. (1993) إنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، ط1 بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .
- لوجون، ف. (1994) السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، ترجمة وتقديم: عمر حلمي، ط1 بيروت، المركز الثقافي العربي.
- ماجدولين، ش. (2009) خطاب الألم في الرواية المغربية الآن، مجلة نزوى، نقلاً عن موقع www.nizwa.com
- ماجدولين، ش. (2015) الألم الروائي أفقا للحرية، مختبر السرديات للخطاب والدراسات المقارنة، الدار البيضاء، المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك.
- مرتاض، ع. (1998) في نظرية الرواية، ط1 الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 24، المجلس الأعلى للثقافة والفنون.
- مصطفى، إ، وآخرون. (1972) المعجم الوسيط، ط2 القاهرة، ج2، مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
- اليوسف، إ. (2010) الزهايمر، مجلة الأمن والحياة، ع347 الرياض، مج30، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- مواقع الشبكة العنكبوتية:**
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1_%D8%A8%D9%86_%D8%AC%D9%84%D9%88%D9%86
- <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%86%D8%AD>
- <https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/ataxia/symptoms-causes/syc-20355652>
- <https://www.nizwa.com/%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%80%D9%80%D9%85-%D9%81%D9%80%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D9%80%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D9%80%D8%A9-%D8%A7/>
- Ibrahim, A . (2007) *Mawsooat Assard Al Ararbi, (Encyclopedia of Arabic Narration)*, 2nd edition, vol.2, Al Muasasah Al Arabiayah Li Adrisat WaAlnashr.
- Abu Saif, S. (2008) *Al Riwayah Alarabiyah Wa Ishkaliat Al Tasneef, (The Arabic Novel and the Classification Issue)* , 1st edition Amman , Dar Al Shurooq.
- Bakhtin , M. (1990) *Ashkaal AlZaman wa Al Makaan Fi AlRiwaayah, (Forms of Place and Time in the Novel)*, Translated by Yousef Hallaak, No date, Damascus, Publications of the Ministry of Culture.

- Al Bardi, M. (1997), *Autobiography in Modern Arabic Literature*, Fusool Journal, Cairo, No.3 Vol. 16, Al Hayaah Al Amah Lilkitaab.
- Benjaloon, T. (2013) *Heena Tataranah Thakerat Ummy (When my Mother's Memory Staggers)* Translated by Rashed Benhedoo, 3rd edition, Casa Blanca, AlMarkaz Althakafi Al Arabi.
- Tearson, R. (2003) *About alZheimer*, 1st edition , Beirut. Aldaar Al Arabiyah Lil Uloom.
- Aljenabi. K. (2013) *AlRiwayah Allraqiyah Al Muaasrah (Anmat Wa Mukarabaat)* (The contemporary Iraqi Novel), 1st edition , Damascus, Manshurat Itihaad AlKutaab.
- Humood, M. (2013). *Ishkaliyat Al-Ana wa Alakhar (Namathej Rewayah Arabiyah)*. Arabic Dilemma of I and the other (Namathij Models)1st. edition, Kuwait, March 398, Manshoorat Alam Al-Maarefah Al-Majles Al-Watani Li Athakafah wal fonoon wal Adaab.
- Khalil, I. (2012). *Al-Riwayah, Al-Tareekh, Al-seerah(Dirasaat fi Al-Sard Al-Riwaeei (Study in the Fictional Narration)*, 1st edition, Amaan, Dar Amwaaj Lialtibah wa Al-Nashr wa Al-tawzee'.
- Khouri,I. (1982). *Althakerah Al-Mafkoodah(Lost Memory)*.1st edition, Beirut, Muassassat Al-Abhaath Al-Arabiyyah.
- Khouri, L. (2006). *Althakerah (Alethtirabaat wa AlMashakel, Alelaaj wa Al-Rakaabah)* Memory (Disorders and problems, Remedy and supervision) 1st edition, Beirut, Dar Al-harf Al-Arabi Liatebaa'h wa Al-Nashr wa Attawzee'.
- Al-Riyahi, K. (2005). *Harakat Al-sard Al-Rewaeei wa Munakhateh fi Istratejiyaat Al-Tashkeel*, Movement of the fictional Narration and its atmosphere in the strategies of Formation) 1st edition Amman, Dar Majdalawi.
- Al-Zaraad, F. (2002). *Al-Thakerah (Kiyasuha, Ithderabatuha wa Ilajuha)*,Memory (Its Measurement, Disorders, and Remedy 1st edition. Riyadh, Dar Al-Mareekh.
- Al-Zahraani, M. (2004). *Al-Kera'ah AlHiwaariyah Lialakaat Alseerah Al thatiyah Bi Al Riwayah, Al-Riwayah Al-Arabiyyah (Narration Possibilities)* A'mal Alnadwa Limahrajan Al kareen Al thakafi Al hadi Ashar 11-13 December, conversational Reading for the relationship of the autobiography with the novel, The Novel, The Arabic Novel, the narration possibilities) symposium works of the eleventh cultural kareen festival 1st edition, Kuwait, Vol. II.
- Shabaneh, S. (1999). Mareedh Al Zheimer (Ikraam Insaniyatuh wa Irshadaat lil kaameen Ala Riavateh), Alzheimer Patient (Respecting His Humanity, and Instructions for those in charge of him) ,Medical Review:Dr.Nadia Abdel Wahaab, 1st edition, Cairo, Dar AlMustakbal AlArabi.
- Shhaid, J. (2011). *Al-Thakerah fi Al-Riwayyah Al-Arabiyyah Al-Muaserah (Memory in the Modern Arabic Novel)* 1st edition, Beirut, Al-Muassassah Al-Arabiyyah Li Adirasat wa Annashr.
- Al-Shawabkieh, S.(2015). *psychological Time in the novel of political imprisonment, Tilka al Atmat al Baherah:That Brilliant Darkness) as a model*, Dirasat: Human and Social Sciences , SCOPUS, No3,Vol42, Amman,The University of Jordan.
- Shoshar, B. (1992). *Al-Alam (pain)* ,translated by Hala Murad, 1st edition, Cairo, Dar Al-Mustakbal Al-Arabi, Al-Maktabah Al-amiyah.
- Abbaas, I. (1965).*Fan Al-seerah (Art of Autobiography)*, 2nd-edition Beirut, Dar Al-Thaqafah.
- Al-Abdallah, y. (2005). *Al-Eghteraab (Dirasah Tahliliyah Li Shakhssayyat Al-Taher Ben Jaloon), Alienation (Analytical study of Al-Taher Ben Jaloon's characters*, 1st edition, Beirut, Al-Muassassah Al-Arabiyyah Li-Adirasat wa Attawzee'.
- Ubaid, M. (2011). *Al-Tashkeel Al-Saradi (Al-Mustalah wa Al-Ejra') Fictional Formation (Term and Action)* ,1st edition, Damascus, Dar Ninawa Li Adirasat wa Al-Nashr wa Attawzee.
- Ubaid, M. (2005). *Tamathuraat Al-Tashakkal Al-Saiyar Thaati(Kiraah fi Tajrubat Muhammad AlQaisi Al-Saiyer Thaati (Phenomenological Formation of Autobiographical Experience. A reading in Mohammad AlQaisi Autobiographical Experience.)* 1st edition, Damascus, Manshuraat Itihaad Al-Kutaab Al-Arab.
- Athamneh, F. (2010). *Al Sard fi Riwayat Al-Seerah Al-Thatiyyah Al-Arabiyyah (Dirasah fi Al-Binaa' wa Attaqaniyaat wa Annawe')* Narration in the Arabi Autobiographical Novel (A study in the structure, Techniques, and genere), Ph.D dissertation supervised by prof.Dr. Nabeel Haddad, Yarmouk University.
- Al Adwani, A. (2010) *Assehal walmarad: Ruayya socio anthropologiah , (Health and Sickness: A socio anthropological*

- Vision**), Al Majalah Al Arabiyah li Elm Al Ejtimaa (Idifat), No 9, Beirut, Markaz Dirasat Al wahdah Al Arabiyah.
- Asfour, J. (2000) **Zaman Al Riwayyah (Novel Time)** 2nd edition, Cairo, Matabat AlUsra, Mahrajan Al Keraa Lil Jamee.
- Ali, W. (2014) **Matha Taaref An Alzheimer (What do you Know About Alzheimer)** Majalat Al Edara, Itihad Jamiyyaat Al Tanmiah Al Idariyah, No. 1, Cairo, Vol. 15.
- Elyyan, H. (2012) **Tadakhul Al Ajnaas Aladabiyyah (AlRiwayyah wa Alseera, Seerat Madeenah wa shaab) (Mixture of literary Genres: the (Novel, biography :biography of a city and people)**, 1st edition, Amman, Dar Majdalawi Li Anashr wa Attawzee.
- Awad Allah, M. (2002) **Alzaman fi Al Riwayya Al Arabiyaah (1960-2000) Time in the Arabic Novel 1960-2000)** ph. D. Dissertation, Amman, Supervised by Prof. Dr. Mahmoud Assamara, University of Jordan.
- Al Eid, Y. (1990) **Taqaniyyaat Alsard Al Riwaai (Techniques of Fictional Narration)** 1st edition, Beirut, Dar Al Faraabi.
- Ghanayem, M. (1993) **Tayyar Al Waee Fi Al Rewayyah, Al hadeethah (Dirasah Esloubiyah) Unconscious Stream in the Modern Novel (A Stylish Study)**, 2nd. edition Beirut/Cairo, Dar Aljeel, Dar Al Huda.
- Farhood, K (1998) **Mawsoot Aalam Aladab Al Arabi Fi Alasat Al hadeeth, (Encyclopedia of Master Writers of Arabic literature in the Modern Period)**, Reviewed and Introduced by Mahmoud Abbas, 3rd. edition, Haifa, Vol. 1, Dar Almarshreq Li Atrajamah wa Atebaa'ah wa Al nashr.
- Fadhel, S. (2014) **Atamtheel Al Jamaali li Alhaya (Aesthetic Representation of life)** 1st edition, Cairo. Dar Ro'yah li Anashr wa Atwazee, Silselat Al Naked Al Arabi (3).
- Al faysal, S. (1995) **Muj'am Al Rewayyeen Al Arab (Dictionary of Arab Novelists)** 1st edition, Tripoli, Lebanon.
- Al Kuraan , F.(2012) **Khitaab Al Marad Fi Al sard Al Arabi Al Hadeeth (Al seerah Wa Al Riwayyah) Discourse in Modern Arabic Narration (the Autobiography and Novel)** Ph.D. Dissertation Superrised by Prof.Dr. Khalil Al Sheikh , Yarmouk University.
- Qattous ,B. (2001)**The Title semiotics**, 1st edition , Amman, Mansharaat Wizarat Athakafah.
- Al Kurdi ,A. (1996) **Al Rawei Wa Annass Al Kassassi (The Narrator and the Narrative Text)** 2nd edition ,Cairo , Dar Al Nashr Li Aljameeat .
- Lobortoon, D. (1993) **Anthropologia Al Jasad wa Al Hadathah (Anthropology Body and Modernity)** Translated by Muhammad Arab Sassila , 1st edition, Beirut, Al Muassassah Al Jameyyah Li Aderasat Wa Anashr.
- Logon,F. (1994) **Al Seerah Al Thatteyyah (Al Meethak wa Atareekh Al Adabi) The Autobiography (Covenant and the literary History)**, Translated and introduced by Omar Hilmi, 1st edition, Beirut, Al Markez A thaqqafi Al Arabi.
- Majdoleen, Sh. (2009) **Khetaab Al Alam Fi Al Rewaayah Al Maghrebiyah Al Aan, (Discourse of Pain in the Moroccan Novel Now)** Majalat Nizwa, Retrieved from www.Nizwa.com.
- Majdoleen, sh. (2015) **Al Alam Al Rewaaei Ufkan Lil Hurreyah (Fictional Pain as A Horizon for Freedom)** Mukhtubbar Al Sardiyat Lil Khitab wa Adirasat Al Mukaranah. Casa Blanca, Morocco, Faculty of Arts and Humanities in Nemsek.
- Murtad,A. (1998) **Fi Nadhariyyat Al Riwaayah. (On the Novel Theory)** 1st edition, Kuwait, Silsilat Alam Al Maarefah 24, Al Majles Al Aala li A thaqqafah WaI funoon.
- Mustafa, I (et al) (1972) **Al Muajam Al Waseet (Al Waseet Lexicon)** 2nd Edition, Cairo, Vol.2. Majma Allughu Al Arabiya (Arabic Academy) ,Al Edarah Al Amah Lil Muajamat Wa Ihiya (Al turath), Al Maktabah Al Islamiyah Li Atibaaha wa Al Nashr wa Atawzee.
- Al Yousef, I (2010) **Al Zheimer**, Majalat Al Ammn Wal Hayaat, (Journal of Security and Live) No. 347. Riyadh. Vol.30, Nayef Arab University for Security Sciences.

Representations of the Memory Disease, Alzheimer, in the Autobiographical Novel of the Moroccan Novelist Attaher Benjaloon's 'Heena Tatarannah Thakerat Umami' (When My Mother's Memory Staggers) as a Model

*Sumaya Suleiman al-Shawabkeh **

ABSTRACT

This research works on the autobiographical novel that borrows the fictional writing techniques for depicting the biography content that acts as the mainstay of fiction, the imagined artificial art invested as it create a fictional world with wide horizons, multiple visions, various arts, and connected dimensions. It also tackles the representation of the memory disease know as Alzheimer with emphasis on the psychological, social, literary, and artistic death of this disease victim in the novel **"Heena Tatarannah Thakerat Umami" (When My Mother's Memory Staggers)** by the Moroccan novelist **Attaher Benjaloon** that narrates the loss of his mother's memory afflicted with Alzheimer that devours her memory until it dies completely. The research attempts to discover **Benjaloon's** ability to reveal the psychological, social, humanistic, fictional, creative dimension of this disease on one hand, and to transform the distorted, disordered, sickened, vague memory that staggers in place and time into a special art characterized by unique features on the other hand.

Keywords: Representations, Alzheimer, autobiographical novel, (When My Mother's Memory Staggers), Benjaloon.

* Language Center, The University of Jordan.

Received on 18/5/2019 and Accepted for Publication on 29/9/2019.